ndu spirit
تمّوز ٢٠٠٩ عدد ٤٦

مثقّفٌ أَريب، مهذّبٌ أَديب، جِدّيٌّ عمليّ، مبادرٌ شجاعٌ متواضع، صادقٌ واضحٌ شفّاف...؛ فالجميعُ أَجمعوا على محبّته واحترامه وتقديره، وهو النّموذجُ الجديدُ المرجوُّ لحكمٍ جديدٍ صالحٍ في لبنان.

إنّه زياد بارود.

ولَكم ثمّةَ من زياد في البلاد، حَرامٌ ألاّ نَفيدَ من كفاءاتهم وإمكاناتهم، وما تَختزنُه شمائلُهم من قيمٍ ويَعتلي مناكبَهم من مناقب!

ولكنْ، مَن ذا الّذي يَملكُ الايمانَ العميقَ الثّابتَ المقدامَ ليتيحَ لهم فرصةَ التّدبيرِ والتّيسير؟

ميشال سليمان خاضَ التّجربةَ.

إنّها ركنٌ من أركانِ نجاحاته في سنته الرّئاسيّة الأُولى؛ وأخصُّها: بناءُ الجسورِ، وفتحُ الدّروب، ونَصبُ شباكِ الأمانِ بين أجنحةِ الوطنِ ومشاريعِ المصالحِ الاقليميّةِ والدوليّة. فاستعادتِ الرّئاسةُ دورَها، واستعادَ الوطنُ حضورَه!

دعاؤنا ورجاؤنا أن تترسّخ هذه النّجاحاتُ، وتَتضاعفَ وتَشمخ. فليس أَدعى إلى تحقيقِ مستقبلِنا المزدهرِ المُطَمْئِن من ذلك. بل من مسؤوليّاتنا الضّميريّة التّاريخيّة أَن نكونَ حُماةً لها، وتكونَ لنا إضافاتٌ عليها.

الوزير بارود كلمةٌ من كلمات الرّئيس سليمان، وقد كانت فصيحةً بليغة. فأللهمَّ، بارِكْ وزِدْ...

التّحرير

NDU Spirit دوريّة حول علامات الحياة في عالم
جامعة سيّدة اللويزة

رئيس التّحرير
جورج مغامس

التحّرير بالانكليزيّة
كينيث مورتيمر

تَتَبُّع أَنشطة
غادة معوّض

تنضيد بالعربيّة
ليديا زغيب

تصوير
عبدو بجّاني

تصميم وإخراج
ريبيكا موراني

طباعة
مطابع معوشي وزكريّا

هاتف: ٢٠٨ ٩٩٦ (٠٩)
هاتف /فاكس: ٢٠٥ ٢١٤ (٠٩)
موقع الكترونيّ: www.ndu.edu.lb/Research&Development/NDUPress/Periodicals/NDUspirit

المحتوى

ndu spirit

كلمة

٦ **تأسيسًا على أَحَدِ الحِبر**
جورج مغامس

مدارات الجامعة

٨ **رئيس الجامعة يطلق شرعة العمل الجامعيّ**

١١ **د. الريحاني في الموسوعة الدولية للثّقافة**

رفعُ أنصاب:

١١ فواد الخوري

١٣ زكي ناصيف

١٦ جورج افرام

١٩ **في أسبوع الأصمّ العربيّ**

٢٠ **د. الريحاني في الموسوعة الدوليّة للثّقافة**

٢٢ **من حصاد العمل الرعويّ الجامعيّ**

وجوه

٢٧ **وجه كاهن مريميّ: جناديوس موراني**
الأب فادي بو شبل

ملفّات

٣٠ **حديقة الأخبار**
د. جوزف الياس

مقالات

٣٤ **السياحة حاجة إنسانيّة ووطنيّة**
د. إيلي يشوعي

٣٦ **هل ينجح أوباما في مواجهة التحدّيات؟**
د. لويس حبيقة

٣٨ **السياسة المدينيّة والشعر الشعبيّ**
فرحان صالح

٤٠ **فتاة من الشرق**
د. منصور عيد

٤٢ **إلى دارون في ذكراه**
شربل شربل

٤٣ **ما بين ساندي وناتالي**
جورج مغامس

مراجعات

٤٤ **إيمائيّة الروح في قلب المدينة**
عبدو القاعي

٤٥ Epigraphie Syriaque Au Liban
النقوش الكتابيّة السريانيّة في لبنان
أمين- جول اسكندر

٥٠ **عفوًا.. هذا أنا**
سهيل مطر

شعريّات

٥٣ **أُسكني لبنان**
المحامي ريمون عازار

خاصّ

٥٤ **رسالة غير منشورة**
لأمين الريحاني

من منشوراتنا

ndu spirit

تأسيسًا على أَحَدِ الحِبْر

جورج مغامس

في اثنينِ الرّمادِ يتذكّرُ الانسانُ أَنّه من التّرابِ وإلى التّرابِ يعود. يتذكّرُ أَنّه من أينَ وإلى أين. يتذكّرُ مبدأَه ومصيرَه. يتذكّرُ.. لعلّ الذّكرى تَنفعُ، إنْ كانَ من أُولي الألباب!

أمّا في يومِ الانتخابِ الذي عَبَرَ، وقد صارَ أحدَ الحِبْرِ، تَلوّنَتْ بأزرقِه البصماتُ لئلاّ.. فما عساهُ يكونُ تَذكّرَ؟!

هل تذكّرَ أَنّه بصوتِه وصلَ مَن وصلَ ففعلَ ما فعلَ، وأَنّه بصوتِه أيضًا يصلُ مَن يصلُ فيفعلُ ما يفعلُ أيضًا وأيضًا؟

هل تذكّرَ كم كان في رغيفِه من عَرقٍ، وفي دوائه من دَمعٍ، وفي أقلامِ أولادِه من شَقاءِ القلب؟

هل تذكّرَ الغلاءَ، والبَطالةَ، والهِجرةَ، وما يَستشري من فسادٍ في المرافقِ العامّةِ، وتلوّثٍ في البرِّ والبحرِ والجوّ؟

هل تذكّرَ هذا الخطابَ أو ذاك، من هذه الجهةِ أو تلك، وما فيه من تخويفٍ وتخوينٍ وتسخيفٍ وتحقيرٍ وتناقضاتٍ وقرقعاتٍ؟

هل تذكّرَ الشّهداءَ والمعوّقين والمهجّرين وسائرَ الضّحايا، وحُطامَ القلوبِ والبيوتِ وآفاقِ المستقبلات؟

هل تذكّرَ الوعودَ المعقودةَ والعهودَ المقطوعةَ، وما كان من تهديدٍ ووعيدٍ وترغيبٍ وترهيبٍ ومزاعمَ وادّعاءات؟

هل تذكّرَ ما كان يقولُه هو، ويُقسمُ عليه هو، ويعتدُّ به هو، ويحشّدُ قواه له هو؟ هل تذكّرَ..؟

* * *

لقد تذكّرَ. لقد تذكّر..

ولكنْ، ما الّذي كان يستطيعُه، إلاّ قِلّةٌ متمرّدةٌ لا تَقوى عليها الزّعازعُ العَتيّات، ومعظمُ قوائمِ التّرشيحاتِ النّيابيّةِ تعينيّةٌ انتدابيّة، تَنزّلتْ قداسةً في السّياسة، فتماهى، بل فاقَ أيَّ التزامٍ بها أيّ التزامٍ بالكتبِ السّماويّة؟

لقد باتَ اللبنانيُّ، أيًّا كانت طائفتُه أو مذهبُه أو إقليمُه وأقنومُ انتمائه.. أمام أمرِ واقعٍ ما، يتّفق ضمنًا من حيثُ عِلّلُه ومعلولاتُه مع أيّ أمرِ واقعٍ آخرَ مهما بدا مختلفًا ومغايرًا، لأنّ القُطعانيّةَ، الشّقيّةَ والغبيّةَ في آنٍ، واحدةٌ سائدةٌ في كلِّ حال.

الطّائفةُ حزبٌ، والحزبُ مذهبٌ، والمذهبُ قُطبٌ، وكلُّ قطبٍ فقيهٌ وليٌّ في قومِه وديارِ حربِه.. فكيف لهذا اللبنانيّ النّاخبِ أن يَبلغَ إلى حيّزِ دِيَكَةِ الصّباحاتِ التي تولدُ من أكمامِ الحرّيّةِ النّقيّة؟ أليسَ أنّه، وهو النّائمُ في الجَبّانة، لا مَفرّ إلاّ يَشُمُّ الرّوائحَ الكريهة، ويُبصرُ بالمناماتِ المخيفة؟!

تعبئةٌ وشَحنٌ واستقطاباتٌ واصطفافات.. فليس بالتّالي إلاّ استجاباتٌ من إذعانٍ وخضوع:

«الوقتُ داهمٌ في سبيلِ مَحميّاتِ الحيّزِ المدنيِّ وَسْطَ كلِّ قطيعٍ طائفيّ.»

«الأقفالُ الجديدةُ لا تُفتحُ بمفاتيحَ قديمة...»

السّيّدُ الزّعيمُ يقولُ فيُسمعُ، ويأمرُ فيُطاعُ، وعنه يردّدُ ويُشاعُ، وإليه دائمًا يُشار..!
مولودٌ معبودٌ وَلاّدٌ للأقدار..!! أمّا الخوارجُ فخُثالةٌ مرذولةٌ مرجومةٌ، نُكبت بنَزعةِ مُكاسرةِ السّلاطينِ والشّياطينِ والأوثان، وبفضِّ طلاسمِ الجنّ والغيلانِ وشُبهةِ العنقاء... وصارت أسماؤها على وجوهها كالشّواهدِ فوق القبورِ، أو الـ لا النّافيةِ للجنسِ.. كلِّ جنسِ الانتماءِ إلى الدّيرةِ والجِيرةِ وغيرةِ الدّين...

* * *

وبَعدُ بَعدُ، ألَم يَستنفدْ كلُّ التّصعيدِ البّغيضِ اللعينِ مفاعيلَه؟
أَما يُقرُّ الحُكماءُ والرُّعناءُ معًا بحُكميّةِ وحتميّةِ العيشِ معًا، وأنّ ما يوثّقُ ميثاقَه هو دوامُ التّوافقِ، الّذي لا بدّ من توضيحِ معانيه وترسيمِ مآلاتِه وآليّاتِه بالحوارِ العاقلِ المسؤولِ، النّابعِ من: حُسنِ النيّاتِ، وثباتِ الاراداتِ، وصحّةِ المعطياتِ، وحيويّةِ الغاياتِ، وسلامةِ الممارساتِ، وأحكامِ الضّروراتِ، ومصيريّةِ التّطلّعات... ومن تجاربِ الأمسِ القريبِ والبعيدِ في تاريخِنا وتاريخِ سوانا، شرقًا وغربًا؟!

فلماذا إذًا التّلكّؤُ دون الجلوسِ، اضطرارًا واطّرادًا، إلى هذه الطّاولةِ الخَلاصيّةِ، طاولةِ الحوارِ، لإنجازِ ما لا بُدَّ من إنجازِه من تفاهماتٍ وصيغِ إدارةٍ لشؤوننا العامّةِ على المستوياتِ المركزيّةِ واللامركزيّة؟!

* * *

أحدُ الحِبْرِ تمَّ بسلام. فبسلامٍ يجبُ أن نؤسّسَ عليه؛ نُشيّدُ المصالحاتِ، والإصلاحاتِ المنشودةَ في بُنانا السّياسيّةِ والإداريّةِ والاقتصاديّةِ والتّربويّة..، ونُصْبَ أعيننا أنّ الوقتَ داهمٌ!

الوقتُ داهمٌ في سبيلِ مَحميّاتِ الحيّزِ المدنيِّ وَسْطَ كلِّ قطيعٍ طائفيّ.
وإلاّ، فإنّ ذاك الأحدَ، أحدَ الحِبْرِ، يُمسي كقُبلةِ يوضاسَ أو كالمصافحةِ التي تَسبقُ الملاكمة.

وَلْنتذكّرْ دائمًا وأبدًا، أنّ الأقفالَ الجديدةَ لا تُفتحُ بمفاتيحَ قديمة...

رئيس الجامعة في عيد الجامعة يُطلق:

شرعة العمل الجامعيّ
على ضوء تعاليم الكنيسة وخصوصيّة لبنان

قال الرئيس:

نطوي، اليوم، ثلاثين سنةً على بدء عملنا الجامعيّ، كرهبانيّة مارونيّة مريميّة، ونتجاوز اثنتين وعشرين سنة على استقلاليّة جامعة سيّدة اللويزة سنة ١٩٨٧ وانطلاقتها الثابتة والمتطوّرة في خدمة التربية ولبنان.

فتحيّة تقدير لكلّ من ساهم في نشأة هذه الجامعة وتقدّمها، رهبانيّةً وأساتذةً وموظّفين وطلاّبًا، ووقفة امتنان لمجتمعنا الوطنيّ، الذي استطاع، ورغم الظروف الصعبة، التغلّب على المصاعب، ومتابعة المسيرة الحضاريّة التي تعكس وجه لبنان الحقيقيّ.

في السنة الماضية، وفي مثل هذا اليوم، ٧ أيّار، وقف لبنان، شعبًا وأرضًا، على خطّ تماسّ بين الوحدة والتمزّق، بين العنف والسلام، بين المحبّة والحقد. لحظات صعبة ومصيريّة!

وبعيدًا من الانفعال والتوتّر، كان لا بدّ من التساؤل: كيف يمكن لوطن، وخلال ساعات، أن ينهار، أو أن يتحوّل إلى أوطان؟ هل يمكن لشعب واحد، ونتيجة خلاف أو تباين في الرأي، أن يتحوّل إلى شعوب؟ ما هو دورنا، نحن المسؤولين الحقيقيّين، الحقيقيّين، عن إعداد أجيالنا وتربيتهم؟ هل البناء اللبنانيّ كرتونيّ ورخص وقليل المناعة، إلى حدّ الانهيار، عند كلّ منعطف أو موقف أو تباعد في الموقف؟ مخيفة هذه الأسئلة. ولكن، يجب طرحها وتحليلها ومحاولة الإجابة عنها.

في السنوات الثلاث الماضية، طرحتُ في الخطبة السنويّة الموضوعاتِ التالية:

سنة ٢٠٠٦ الانتماء بين العولمة والأصوليّة
سنة ٢٠٠٧ من الانتساب إلى الانتماء
سنة ٢٠٠٨ من الانتماء إلى الإنماء

أمّا هذه السنة، وبسبب أوضاعنا الوطنيّة، فقد أصدرت الكنيسة في لبنان شرعة تحت عنوان: شرعة العمل السياسيّ على ضوء تعاليم الكنيسة وخصوصيّة لبنان. وكان الدافع الأساسيّ لهذه الشرعة هو التمزّق غير الواعي الذي أصاب مجتمعنا السياسيّ، والذي انعكس سلبًا على الخطاب الوطنيّ بشكل عامّ، وعلى مجتمعنا التربويّ، في الجامعات والمدارس، بشكل خاصّ. فكان من الضروريّ أن تتصدّى الكنيسة لهذا الواقع المتردّي، وأن توجّه بوصلة العمل السياسيّ نحو العقل والضمير، على قاعدة الحريّة والديمقراطيّة والاعتراف بالآخر واحترام التنوّع.

منذ إصدار هذه الشرعة، بدأنا، في جامعة سيّدة اللويزة، نفكّر في وضع خطوط عريضة لشرعة العمل الجامعيّ التي سنعتمدها في جامعتنا، والتي نودّ أن تكون قاعدة للعمل الجامعيّ في لبنان، إذا وجد الأخوة الزملاء، في الجامعات الشقيقة، منفعة في ذلك، وإن على تعديل في الأسس أو تغيير في التفاصيل.

وكما في شرعة العمل السياسيّ، وجدنا أنّ شرعة العمل الجامعيّ يجب أن تنطلق أيضًا من ثابتتين: تعاليم الكنيسة وخصوصيّة لبنان.

على ضوء تعاليم الكنيسة، انطلقنا من مراجع ثلاثة: تعاليم الكنيسة بشكل عامّ، وبالعودة إلى رسالة البابا لاوون الثالث عشر الذي أكّد على أنّ «الكنيسة، بطبيعتها ومؤسّساتها، هي حقًّا أمّ ومعلّمة». وهذا ما استند اليه البابا يوحنّا الثالث والعشرون، عندما اعتبر أنّ «تعليم المسيح يأخذ الانسان بشموليّة أبعاده، نفسًا وجسدًا، عقلاً وإرادة، داعيًا إيّاه إلى الارتفاع فوق الأوضاع

المتغيّرة لوجوده الآنيّ». كما أنّ المجمع الفاتيكانيّ الثاني دعا الجامعات والمعاهد إلى تثقيف الطلبة «تثقيفًا يخوّلهم أن يصبحوا متفوّقين ومستعدّين أن يتحمّلوا المسؤوليّات الجسام في المجتمع، وفي الوقت عينه أن يكونوا شهود الإيمان في العالم».
وهذا ما شدّد عليه البابا يوحنّا بولس الثاني عندما قال: «إنّ الجامعة هي مركز للإبداع ونشر المعرفة من أجل خير الانسانية، وعليها أن تتكرّس للأبحاث والتعليم وتربية الطلاّب».

١. المرجع الثاني كان الإرشاد الرسوليّ (رجاء جديد للبنان) الذي ركّز في فصله السادس على:
– أنّ الثقافة تكون ثقافة حقًّا إذا تناولت الانسان بكليّته بحيث يصبح أكثر إنسانيّة.
– أنّ الحاجة ملحّة لتحديد المفاهيم التربويّة للتعليم العالي، ولوضع خطّة مستقبليّة لهذا التعليم.
– وأنّ على الشباب، رجالاً ونساءً، أن يكونوا حقًّا ثروة كبيرة لبلدهم وقوّة تجدّديّة في الكنيسة والمجتمع.

٢. أمّا المرجع الثالث فهو المجمع البطريركيّ الماروني، الذي أكّد على أنّ التعليم العالي الجيّد والنوعيّ يجب ألاّ يكون ترفًا أو حكرًا على المحظوظين، بل هو حقّ للجميع... وعلى ضرورة ضمان جودة التعليم وتأمين ديمقراطيّته، والانطلاق من الطائفة إلى رحاب الوطن، وترسيخ الدور اللبنانيّ الحضاريّ في الإشعاع على البلدان المجاورة، وعلى دول الشرق كافّة.
هذا على ضوء تعاليم الكنيسة. أمّا على صعيد الخصوصيّة اللبنانيّة فقد توقّفنا عند المحاور الآتية:
– جغرافيّة لبنان بحدوده الحالية وتنوّع طبيعته، وتوسّطه بين البرّ والبحر.
– تاريخيّة لبنان وتراكم الحضارات على أرضه.
– تعدّدية الأديان والثقافات في لبنان.
– مفهوم الحريّة المكرّس في الدستور اللبنانيّ.
– العيش المشترك الذي لا شرعيّة لأيّ كان من دونه.

إنطلاقًا من كلّ ذلك، حاولنا، أن نضع خلاصة لشرعة عملنا الجامعيّ، بالاستناد إلى النقاط التالية:

١. تنمية الانسان كشخص، وتأهيله لاكتساب المعرفة، طوال حياته، ودفعه إلى بناء شخصيّته على أسس الحقّ والخير والجمال. يجدر بنا أن نعترف انّ بعض القيم التي تربّينا عليها وورثناها عن آبائنا والأجداد، بدأت تسقط وتضمحلّ. لقد تعولمنا، شرقًا وغربًا، إلى حدّ أنّنا بدأنا نفقد شخصيّتنا التاريخيّة. إنّ القيم التي يجب ترسيخها في شخصيّة الطالب أو الطالبة، هي أهمّ بكثير من بعض المعلومات الدراسيّة التي توجبها مناهج التعليم، ودورُنا اليوم أن نشجّع الطالب على التمرّس بهذه القيم، لكي يفهم حقيقة ذاته وحقيقة علاقته بالآخرين. لا يكفينا أن نقول: غريب هذا الجيل! بل علينا أن نعمل على إعادة تغذية هؤلاء الشباب والصبايا بروح المحبّة والشرف والخدمة والاحترام... (لا احترام، لا محبّة، لا انتماء، سرعة وجنون وسهر ولامبالاة).

٢. تنمية الانسان كعضو في المجتمع، وتدريبه، من خلال حياته الجامعيّة المجتمعيّة، على حسن التعاطي مع الآخرين: إدارةً وأساتذةً ورفاقًا.
أتساءل أحيانًا: لماذا الصدام بيننا وبين الطلاّب؟ هل هم المسؤولون عن ذلك أم نحن؟ هل هو صراع أجيال أم هي غربة نفسيّة؟ ثلث الشعب اللبنانيّ في المدارس والجامعات. كيف نردم هذه الهوّة، وكيف نقيم جسورًا بيننا وبينهم، ونحن المسؤولون عن ذلك؟ يكون ذلك بالحوار، وترسيخ الثقة، والمشاركة. لا يمكننا الطلب من هذا المتعلّم أن يكون ديمقراطيًّا وأن يحترم الرأي الآخر، ونحن لا نحترم أفكاره ولا نمنحه حريّة الرأي وشجاعة التعبير. لهذا نرى من الضروريّ إعادة النظر في المناهج التعليميّة وفي الأساليب والطرق واختيار الأساتذة، بحيث نمنح الطالب في الجامعة إمكانيّة التمتّع بحياة اجتماعيّة سليمة ومستقيمة، ما ينعكس على تصرّفاته وسلوكه وانخراطه في المجتمع عنصرًا بنّاءً وفعّالاً، لا عنصر شغب وتهديم ورفض.

٣. تنمية الانسان كمواطن. لقد أُعطي الطالب، وهو يدخل الجامعة في سنّ الثامنة عشرة، حقّ الانتخاب والمشاركة في الحياة الوطنيّة؛ وفي ذلك اعتراف بدوره وقدرته على ممارسة هذا الدور. فكيف نعدّه لكي تكون مشاركته الوطنيّة نتيجة خبرة وخيار وقرار، وليست بدوافع غرائزيّة وعائليّة وفئويّة؟
إنّنا مدعوّون، في الجامعات، كما في المدارس، إلى توعيته وإعداده على الحوار والتعاون والمشاركة. وهذا يفرض علينا، في لبنان، منهجيّة تعتمد تنقية ذاكرته من العنف والبغض، وتعزيز نظرة الاحترام إلى الآخر، ونبذ الطائفيّة، بما يؤدّي إلى عيش مشترك سليم بين المسيحيّين والمسلمين، ونظرة متجدّدة إلى العالمين العربيّ والإسلاميّ.
إنّنا نحثّ الطلاّب على الوعي والثقافة والخبرة بهدف مشاركة مواطنيّة ناشطة في بناء مجتمعهم ووطنهم. ولهذا ندعو المسؤولين الجامعيّين إلى منح الطلاّب إمكانيّة المشاركة داخل الجامعة في صياغة القرارات التي تعنيهم وتؤمّن لهم حياة جامعيّة واجتماعيّة متكافئة.

٤. تنمية الانسان كمثقّف. لم تعد الجامعة فبركة شهادات، ولم يعد التعليم وسيلة لنيل إجازة مرور فحسب، بل تحوّل، بحكم الحداثة والعولمة والتكنولوجيا المعاصرة، إلى وسيلة لبناء شخصيّة ثقافية مستقلّة منفتحة تعتمد على البحث العلميّ وإيجاد أجوبة لأسئلة قلقة تخامر وجدان الشباب. ولهذا نرى من الضرورة إعادة النظر في آليّة نقل المعارف، وتفعيل دور الحوار والبحث، وتعميق العلاقة مع وسائل الإعلام والاتصال الحديثة والاستفادة منها، بحيث تصبح هويّة الطالب أكثر تفاعلاً مع الثقافات العالميّة المتعدّدة. هذا لا يعني أبدًا تجاهل التراث والتاريخ. لنعترف: طلاّبنا علماء في الكومبيوتر والانترنت، إلاّ أنّهم سذّج إلى حدّ الجهالة، إزاء تاريخ وطنهم وجغرافيّته

«الكنيسة، بطبيعتها ومؤسّساتها، هي حقًّا أمّ ومعلّمة».

وأنظمته وحضاراته المختلفة. دورنا أن نملأ هذا الفراغ؛ وإلاّ كانوا، في كلّ حين، عرضة للوقوع في فخّ الانقسامات، أو في سكرة البحث عن وطن آخر.

٥. تنمية الإنسان كروح. نحن نحيا في لبنان، وسط محيط تتعدّد فيه أساليب الإيمان وقناعات الأديان. دورنا التربوي إنعاش الحياة الروحية البعيدة عن التعصّب والتقوقع. نحن، كجامعة ذات جذور كاثوليكيّة، مدعوّون إلى إحياء الروحانيّة في طلاّبنا، مسيحيّين ومسلمين، وذلك بالتركيز على الأبعاد الإيمانيّة التي تدعو إلى السلام والمحبّة والخير. التعصّب الغبيّ هو نتيجة الجهل. ولْنعترف أنّ الكثيرين من طلاّبنا لا يعرفون دينهم ولا يفهمون حقيقة الأديان الأخرى. ولنقرّ أنّنا نحن، الأهل والمؤسّسات، مسؤولون عن ذلك، وليسوا هم.

٦. تنمية الإنسان كمنتج. ذي دور اقتصاديّ فعّال؛ ولن يتحقّق ذلك إلاّ بتوفير أساليب الاختبار والتدريب والتمرين والتفاعل مع الآلة والتكنولوجيا الحديثة. لقد أظهر انهيار الشيوعيّة المتصلّبة والرأسماليّة المتوحّشة أنّ الاقتصاد هو عمليّة مشاركة تأخذ بعين الاعتبار حقوق الإنسان في العيش الكريم. ونحن مدعوّون، مع أرباب العمل ومراكز الإنتاج، إلى توليد سبل تربويّة جديدة تفسح في المجال أمام الأدمغة المتخصّصة والأيدي العاملة، لتوظيف قدراتها، بهدف إنماء إنسانيّ واجتماعيّ شامل.

٧. تنمية الانسان كجسد. الجسد هو بعض إنسانيّتنا، وليس عيبًا أو عبئًا أو قيمة مضافة. لا لعبادة الجسد ولا لإهماله. لقد ثقلت الهموم وتضاءل الزمن، فأهملنا الرياضة، ومنعنا أولادنا وطلاّبنا من التمتّع بالطبيعة وجمال الحقول وتسلّق الجبال. وفوق ذلك، لقد باتت الرياضة جزءًا من الصراعات السياسيّة والطائفيّة والمذهبيّة، حتّى أصبحت عبارة «الروح الرياضيّة» عبارة للسخرية والمزاح. نعم، نحن مدعوّون إلى توعية طلاّبنا على حاجات أجسادهم، بهدف احترامها واحترام أجساد الآخرين، وذلك بتوفير الدراسة المنهجيّة لشؤون الجسد والصحّة الإنجابيّة وممارسة الرياضة والاهتمام بالبيئة والحفاظ عليها.

هذه بعض الركائز التي نرى أنّ جامعتنا، كما الجامعات الأخرى، مدعوّة إلى البناء عليها. الرهان صعب، ولكنّه ضروريّ لخدمة الحياة والمستقبل. إنّ نظرتنا هذه تنسجم مع مقتضيات العولمة من حيث الدخول فيها واستثمارها، بدل أن تكون هذه العولمة سبيلاً إلى اغتيال الهويّة والقضاء على الخصوصيّة الذاتيّة. إنّ التنمية الانسانيّة تتناغم اليوم مع احترام البيئة وتحسين نوعيّة الحياة، من خلال التركيز على الصحّة والسلامة العامّة. لنعترف، مرّة أخرى، أنّنا جميعًا نعمل في السياسة، بمعناها الفولكلوريّ غير الشريف، أكثر ممّا نعمل لخدمة صحّتنا وسلامة أولادنا وإنقاذ أجيالنا من تلوّث البيئة وأخطار المخدّرات والأمراض المستعصية. نتلهى بالمظاهر ونتناسى الأعماق.

إنّني أطلق هذا النداء، ونحن في غمرة أوضاع سياسيّة قلقة. الانتخابات مرحلة وتمرّ، لا تجعلوها نهاية الدنيا. هذه سطحيّات عابرة. تعالوا نخترق القشورَ ونَغوصْ أكثر في الأعماق؛ بذلك نبني وطنًا قويًّا صامدًا الكلّ أبنائه، ولن يكون ٧ أيّار إلاّ يومًا عابرًا.

كلمة أخيرة أوجّهها إلى أسرة الجامعة:

بكلّ محبّة وتقدير، أشكركم جميعًا. أحيّي رئيس عامّ رهبانيّتنا الأباتي سمعان أبو عبده ومجلس المدبّرين والأمناء وأصدقاء الجامعة على دعمهم الدائم لهذه المؤسسة. كما أحيّي مسؤولي الجامعة وأساتذتها وموظّفيها وطلاّبها، وأدعوهم إلى ورشة المشاركة في تحليل شرعة العمل الجامعيّ وبحثها ونقدها وتعديلها، وصولاً إلى وضعها موضع التنفيذ في السنة الجامعيّة المقبلة.

أمّا أنتم، أيّها الأصدقاء، فشكرًا لكم وكونوا رقباء علينا وشهودًا؛ فبمحبّتكم وصراحتكم وتوجيهاتكم، تزداد هذه الجامعة رقيًّا، وتتطوّر كي تكون بالفعل جامعة الألف الثالث، جامعة العمل الجامعيّ الشريف والهادف والبنّاء. وكلّ سنة وأنتم بخير.

عشتم وعش لبنان.

فؤاد الخوري نُصُبًا من قيم

فؤاد الخوري ١٨٨٩ – ١٩٨٩/٣/٢٥

– من مواليد حدث بيروت.
– درس الحقوق، وبدأ في ممارسة المحاماة سنة ١٩١٠.
– انتخب رئيسًا لبلديّة الحدث سنة ١٩١٧، وعضوًا في مجلس إدارة متصرّفيّة جبل لبنان سنة ١٩٢٣، وعضوًا في مجلس نقابة المحامين لعدّة دورات، ثمّ نقيبًا للمحامين في ١٩٣٩ و١٩٤٠. وشارك في تأسيس اتحاد المحامين العرب سنة ١٩٤٤.
– خاض المعترك السياسيّ مع الحزب الدستوريّ سنة ١٩٤٣، فكان أمينه العامّ لسنوات، وانتخب نائبًا عن المتن سنة ١٩٥١ فنائبًا لرئيس المجلس النيابيّ، وعيّن سنة ١٩٥٢ وزيرًا للعدل ونائبًا لرئيس مجلس الوزراء.
– انضوى إلى غير جمعيّة خيريّة أو ثقافيّة واجتماعيّة، وإلى المجلس الملّيّ في أبرشيّة جبل لبنان الأرثوذكسيّة (١٩٢٠ – ١٩٧٨) وإلى المجلس الملّيّ العامّ للبطريركيّة الأرثوذكسيّة (١٩٥٠ – ١٩٧٥).

مؤلّفاته

سوانح خمسين، ١٩٦٣ – من الزوايا، ١٩٦٨ – النيابة في لبنان، ١٩٨٠ – من مشارف المئة «لبنان وجوه حضاريّة»، ١٩٨٨ – على رصيف العمر «أصداء شعريّة»، ١٩٨٩.

الأوسمة التي قُلّدها

وسام الاستحقاق اللبنانيّ المذهّب – وسام الأرز من درجة ضابط – وسام الأرز من درجة كومندور – وسام الأرز من درجة ضابط أكبر – وشاح الأرز الكبر – وسامان من بطريركيّة أورشليم للروم الأرثوذكس ومن بطريركيّة الإسكندريّة ووشاح القبر المقدّس.

وسط حضور حاشد جامع للنّخب السياسيّة والنقابيّة والأدبيّة والعسكريّة وأهل المودّات، احتفلت جامعة سيّدة اللويزة في ٢٠٠٩/٣/٢٦، في الذكرى العشرين لوفاة معالي النقيب الأديب فؤاد الخوري، برفع نصب تذكاريّ له في متحف مكرّميها من كبار لبنان، صاغته يدُ النحّات الملهم الأستاذ بيار كرم،.. وذلك خلال كلماتٍ نوّارةٍ كعِقدٍ على جِيد.

الأستاذ سهيل مطر استهلّ تلك الكلمات بقراءة فصل من رسائل المحتفى به، لملمها من كتبه المختلفة، فإذا هي موجّهةٌ إلى أهل السياسة والفكر والقانون وبلدته وأهله وأهل الجامعة، «في هذا الزمن الصعب المفتوح على الصراخ والحقد والفوضى، في هذا الوطن المدمّى المبلّل بالدمع،.. حيث العودةُ إلى الآباء واجبةٌ لاستلهامهم نَفَس حريّةٍ وقيمٍ وجمال».

الأب وليد موسى ومن اطّلاعه على بعض مؤلّفات فؤاد الخوري، شهد أنّ هذا الرجل تميّز بثلاث صناعات فكريّة: صناعة القانون، وصناعة السياسة، وصناعة الأدب؛ وقد اجتمع الثلاثة: القانون والسياسة والأدب، في وعاء واحد يمكن أن نطلق عليه اسم: القيم والأخلاق.

نعم، قال، نحن نشدّد، اليوم، على القيم والأخلاق، لأنّ البعض يعتبر أنّ السياسة هي ضدّ الأخلاق، أو أنّ السياسة والأخلاق لا يلتقيان. لا، أيّها الأصدقاء، يوم تصبح السياسة كذبًا ونفاقًا ومتاجرةً رخيصة وشعارات برّاقة فارغة، يومها نقول: ويل لهذا الوطن.
وتابع: لهذا، نعود، اليوم، إلى هذا الرجل، الأرثوذكسيّ المستقيم الرأي، الذي ما أخلّ يومًا بواجب وطنيّ، ولا زلّت به قدم نحو مصلحة شخصيّة على حساب مصلحة الشعب.
فأهلاً بفؤاد الخوري، يتّخذ صخرةً له، على باب هذه الجامعة، نقيبًا وأديباً ورجلاً وطنيًا لبيبًا ونجيبًا.

نقيب المحامين الأستاذ رمزي جريج حيّا من حياته سحابة قرن من المناقبيّة العالية والشمائل النادرة، متحلّيًا بالطموح والصدق والايمان بالله والثقة بالنفس، فقال:
أيّها الكبير في الرجال، لقد أُنعم عليك بالصدق قولاً وكتابة وممارسة، وبسداد الرأي الذي شارف الحكمة، فجسّدت في شخصك مسيرةً ونضالاً، أفضل القيم التي تزيّن عليك بالصدق قولاً وكتابة وممارسة، وبسداد الرأي الذي شارف الحكمة، فجسّدت في شخصك مسيرةً ونضالاً، أفضل القيم التي تزيّن الانسان.

وتوّجت كفاحك بالتأليف، مرسّخًا في سياستنا قاعدةً مهمّة: أن لا يبقى الجفاء بينهم وبين الكتاب سمة افتخار، وأن تصبح السلطة التي بين أيديهم امتدادًا لسلطان العقل والكلمة.
وختم: أيّها الحفل الكريم، لا يصنَعُ الأوطان الكبيرة سوى الرجال الكبار؛ هؤلاء نفتقدهم كلّما ألّمت بنا محنة، ونحيي ذكراهم لتكون سيرتهم منارةً في العواصف.

وتحت عنوان: تكلّم يا نقيب المعالي، تكلّم!!، قال
رئيس مجلس القضاء الأعلى د. غالب غانم:
هاءنذا وجهي إلى طوالع الفجر، ونهر النهضة العظيم، والقامات المعرّقة كسنديان، وعهد المعلّمين، والحقول التي رُشّ فيها قمحُ القيم العُليا...
كانت الشطرة الأولى من القرن العشرين، بسنواتها السّمان الخمسين وما جاورها، كرمًا كثير العناقيد في حياة الوطن، واحتياطيًا حضاريًا لا نزال حتّى السّاعة نعود إليه كلّما أعوزتنا الأصالات...
فهاءنذا وجهي إليك أيضًا، يا نقيب المعالي، لأنّك ابن هذه الدنيوات، وخدين تلك الأصالات، ونجمٌ شعشاع في هاتيك الثريّات!
قطعةٌ من تاريخ الوطن؟ يُقال عنه ذلك بلا محاباة. لا لأنّه عاشها، العشرة العقود، بل لأنّه ملأ بعض أجاجينها ماء، وأدار نحوها البصر والبصيرة فنقل

من مشاهدها ما جعله من الأمناء على التراث.
فتكلّم، يا أبا عصام، تكلّم! ما بنصب تذكاري نحن مكتفون. إنّنا بمسيس الحاجة إلى دعاة قيم، ورعاة ذمم، وأصوات نهضويّة جديدة... رجوتك أن تتكلّم!

وجاء في كلمة **وزير العدل د. ابراهيم النجّار** قوله: رحم الله المرحوم معالي النقيب فؤاد الخوري، ورحم أوقاته وأيّامه السعيدة. كانت تلك الأيّام غير أوقاتنا هذه. الرجوع إلى تلك الأيّام وفي هذه المناسبة، هو استعادة لحلم اليقظة؛ حلم بأن يتعافى لبنان، وبأن يستتبّ العدل، وبأن يخيّم الوئام دونما حاجة لنسب معطّلة أو ضامنة.
إنّه حلم استعادة آفاق واسعة تقوم فيها نهائيًا ديمقراطيّة الكلمة، وحريّة الفكر، واحترام الغير والانفتاح المسؤول والجدليّ على الآخر، وعلى المحيط وعلى الثقافات المتفاعلة.

هذا كلّه من تقاسيم حلم اليقظة، ومن استحضار ذكرى المحتفى به؛ فكيف لا نحلم؟ كيف لا نتطلّع إلى عودة وزراء عدل شبّوا على سحر حمى الله من كان ولا يزال قدوة.

وأخيرًا كانت كلمة العائلة مع **الوزير النقيب الأستاذ عصام الخوري**؛ وفيها نثر ورد وعطر على المتكلّمين والسامعين وتحيّة خاصّة للجامعة بقوله: لقاء اليوم، وغيره من لقاءات دعت إليها جامعة سيّدة اللويزة، من قبل، حقًا، إنّها لمواسم، وسنبلها الحبّ... كيف لا تحبّ؟ ترفع وجع الفراق إلى قوّة الجمال! شكرًا لهذه الجامعة على سعيها الدؤوب لجعل الزيت، دومًا، مضاءً في مصابيح أعلام الرأي والفكر والوطنيّة، خدمةً منها للثقافة والوطن، بحيث لا يغشى نور تلك المصابيح غشاوةٌ ولا يحدّ من شعاعها غمام... وتظلّ الحضارة باسقةً في منابتها عاليةً في آفاقها.

وختم: ويا أبي، إنّ الوفاء لك وفاء لتعاليمك. ما أجمل تعاليمك، وفي مقدّمها: إعتدلوا في كلّ شيء إلاّ في محبّة الآخرين؛ هذه أغدقوها بدون حساب. وآمنوا بلبنان وبمن خلقه وأبدعه صورة من خلوده، وبأنّ يد الله مع لبنان.
أبي، لبنان باق ليستمرّ في تأدية رسالة الحبّ والسلام... وكذلك أنت باق، لا بالعديد من جميل مبادئك وجليل أعمالك وحسب، وإنّما بالانسان الذي كنته بيننا: تناضل ولا تكلّ، تتألّم ولا تصرخ، تُظلَم ولا تَظلم، تموت... ولا تكفّ عن عطاء.

قالوا اتئدْ، فأجبتُهم ما حيلتي
والقلبُ في لهفٍ إليه وصادِ
إنّي اتّخذتك لي أبًا ومعلّمًا
ما أوحشَ الدنيا بدونِ فؤادِ...

زكي ناصيف «ابن الخام» حسَبًا ونسَبًا يُشيع الطّيبة في مُقام الرّؤوس

وديع الصافي، نقولا الأسطا، طلاّب من المدرسة اللبنانيّة للضرير والأصمّ في بعبدا... هؤلاء كانوا أيضًا في مشهد الاحتفال برفع الستارة عن النصب التذكاريّ للفنّان «ابن الخام» حسبًا ونسبًا زكي ناصيف، بإزميل النحّات بيار كرم، في جامعة سيّدة اللويزة، عصر الاثنين ٢٠٠٩/٤/٢٧.

أمّا المشهد فكان كمثل «ليلة من ليالي العمر»، تجلّى فيها «الوطن الحقيقيّ: لبنان الجمال والحريّة والإبداع»، كما عبّر **الأستاذ سهيل مطر**، والذي أضاف، مسترجعًا صورة عصبة الخمسة: الأخوين رحباني وفيلمون وهبي وتوفيق الباشا وزكي ناصيف ووليد غلميّه: الله، كم الفرق كبير بين صور تُنشَر، هذه الأيّام، على لوحات الشوارع، وصور معلّقة في الصدور وخالدة في البال والعيون. ألا..

رُبّ حيّ غدا في قومه حجرًا
ورُبّ ميت غدا حيًا به الحجرُ!

أمّا خامسُ العصبة، **الدكتور وليد غلميّه**، أطال اللهُ عمرَه المشعّ، فشهد قائلاً:

نحن اليوم في حضرتك لنكرّمك؟!..
نحن نكرّمك في هذه الساعة، في هذا اليوم، ولكنّك كرّمتنا منذ عقود كثيرة، وكرّمت النغم للدهر.
كرّمتنا لأنّك أسعدتنا وأفرحتنا وجعلت من آذاننا عصب العشق للحياة، ونبض الحبّ للجمال، ووقع الوجدان لتاريخنا النغميّ واللحنيّ.
بنغمك لم تنظِر ولم تتبجّح ولم تبالغ ولم تصارع ولم تتوسّل ولم تسوّف ولم تكذب ولم تسوّق، ولم يكن لك وسيطٌ غيرُ أبداعك وأدائك المتميّزين.
بنغمك عشتَ والوجدَ لوحدك. بنغمك امتلكت العفويّة. بلحنك امتلكتَ بسالة الإبداع. بإيقاعك مزجتَ غسق النهاية بشفق البداية، وكأنّك بذلك ترسم هدأة الحنين كلّه. بإنشادك رميتَ الدفء للناس، لكلّ الناس لكلّ الأعمار.
ما استمع إليك إنسان إلاّ وجعلت منه طفلاً بدون أسرار وبدون حدود.
زكي ناصيف...
أحاول أن أطالَك؟!...
أطالَك بذخيرتك اللحنيّة السريانيّة العريقة؟..
أطالَك بمخزونك النغميّ البيزنطيّ بكلّ ما فيه من رونق وجلال؟..
أطالَك بما تملكه من إتقان محكم لأصول التجويد والترتيل؟..
أطالَك من حقول التراث الفولكلوريّ العفويّ، التي تملك ترابها وماءها وغلّتها؟..
أطالَك من هذا الشرق الخصيب، شرق الحضارة والثقافة والصلاة الأولى، والتي استحالت إلى صلوات **لشموس تتزاحم بعضها في نحر بعض.**

زكي ناصيف، أيّها الحبيب الموسيقى، أيّها السهل الصعب، أيّها العفويّ المركّب...
أقول: أنت الأساس، وعلى هذا الأساس أبني بيعتي اللحنيّة والنغميّة المتمايزة، وما عدا ذلك ادّعاءٌ وبطلان.
يقول الإمام عليّ بن أبي طالب:
– ربّي مَن وهبته العقل فماذا حرمته. ومن حرمته العقل فماذا وهبته؟..
تقول بلادي:
– ربّي هبني العقل كي لا أُحرَم من الفرح والعفويّة والصدق، فمن هذه الثلاثة يجيء نغم زكي ناصيف.
تقول بلادي:
– ربّي لا تحرُمني العقل لأنّه هبتك لي كي أحفظَ النغم الطافح بالجمال، فمنه يطلّ نغم زكي ناصيف، ومنه أنتقي ما يبهج الترتيل والابتهال لك.
أستاذي الكبير زكي ناصيف،
من إبداعك اللحنيّ والنغميّ علّمتني أن أتجنّب الكارثة.
كيف؟ إنّها قصّة طويلة، ولكنّي سأختصرها كالتالي:
الانسان الذي لا يسهم في إنتاج الثقافة لا يعمل على محاسبتها، وبالتالي لا يعمل على محاسبة صانعها أو منتجها، وبالتالي لا يعمل على دفع تطوّر الإبداع ليبقى منعزلا لا يعمل على دفع تطوّر الإبداع ليبقى منعزلاً عن المساهمة في الحركة الإبداعيّة الانسانيّة

الشاملة ليبقى غائرًا في السذاجة حتّى الانتحار.
زكي ناصيف: دمت لنا.

رئيس **الجامعة الأب وليد موسى** الذي حرص على الإشارة إلى ما كان بعدُ في وجه ابن الثماني والثمانين الطفوليّ البسّام من علامات البراءة والطيبة والجمال، حرص أيضًا على التأكيد أنّ صوت هذا الرجل انغرس في تربة الجامعة، شامخًا أبيًّا، قبل الحجر الذي يحمل صورته، قائلاً:
مَن من طلاّبنا لا يردّد يوميًّا ألحان زكي ناصيف وأغنياته؟ ومَن من طلاّبنا وموظّفينا وأساتذتنا، لم يردّد: راجع راجع يتعمّر، راجع لبنان.
وأضاف: ما حظي فنّان عظيم على إجماع كالإجماع على تقدير زكي ناصيف. ونحن، رجال الدين، وبشهادة أخويّ العاملَين في عالم الموسيقى والإنشاد، في هذه الجامعة وخارجها، الأب إيلي كسرواني، المسؤول عن القسم الموسيقيّ في الجامعة، والأب خليل رحمة قائد كورال الجامعة، نحن، أهل الايمان المسيحيّ، نستلهم من أناشيد زكي النابعة من تراثنا السريانيّ البيزنطيّ بعض تراتيلنا، ما يجعلنا نؤكّد أنّ الفنّ العظيم يلتقي مع القداسة، حتّى ليمكننا القول إنّ الفنّ هو ابن الألوهة وأصدق تعبير عنها (أنظروا معي إلى وديع الصافي، ألا ترون أنّ مسحة من القداسة ترتسم في صوته، وتتبع من قلبه، وتتجسّد في أغانيه).

وأخيرًا كانت كلمة شكر **للدكتور نبيل ناصيف** باسم العائلة الصغيرة، التي في إطارها، كما قال، تمثّلت معرفتنا بزكي كعمّ أو خال:
محبًّا، متواضعًا؛
متابعًا لكافّة تفاصيل مسيرتنا الشخصيّة؛
مواكبًا لأفراحنا ومشاكلنا؛
معلّقًا (بالنكتة) على أطباعنا، جيّدةً كانت أم سيّئة؛
منزعجًا من الضجّة وكثرة الحكي؛
لاعبَ محبوسة من الطراز الأوّل، وغالبًا «ربّيح»؛
ولم يُرِنا يومًا أيّ أثر عن شهرته الوطنيّة المتنامية، فلم يخصّص أيّ وقت لأيّ منّا لتعليمه الصوت أو الموسيقى؛
فنأى بنفسه ناسكًا بالإبداع في الكلمة والنوتة الموسيقيّة.
ونعلم اليوم أنّه كان فعلاً مثابرًا في تأسيسه لعائلته الكبيرة.
وأضاف: في صيف سنة ١٩٩٠، شاء القدر أن يمنحني فرصة التقارب معه لمدّة شهر، جرت خلاله أحاديث طويلة كان أغلبُها عن علاقة الانسان بإنتاجه الفكريّ. ومن بين ما ردّد على مسامعي وبقي راسخًا في ذاكرتي: «لمّا بيكون الفنّان عايش بيكون فنّو إلو، لكن بعد وفاته بيصير فنّو لكلّ الناس»
لذا بعد وفاته في ١١ آذار ٢٠٠٤، بُودِرَ بالعمل على تكريمه وتخليد ذكراه...

د. نبيل ناصيف

دروع تقديريّة

نقولا الاسطا

وداد لحّود

وليد غلميّه

جورج افرام

صورةً للقيم ومثالاً للطموحات

في الذكرى الثالثة لوفاة الوزير جورج افرام، والواقعة في ٢٠٠٩/٥/٥، تقاطرَ الأهلُ والأحبّةُ إلى جامعة سيّدة اللويزة يحتفلون برفع الستارة عن نصبٍ تذكاريّ يَنطِقُ بالمكرمات من صنائع اليدِ وبدائع العقلِ وإلهاماتِ الرّوح، ويعلّمُ الأجيالَ كيف تكون النجاحاتُ مؤسّسةً على البَركة ومتوّجةً بالخير..؛

وهذا بعضُ ما عبّر عنه **الأستاذ سهيل مطر** في قصيدةٍ له بالمناسبة، ومنها قولُه:

أمّا صناعتُكم، لبنانُ يَغوى بها
ويَشهدُ اللهُ والانسانُ والحجرُ
بالعزم، بالكدّ، بالأخلاق، قد بُنيت
مصانعُ الخيرِ، للعمّالِ تُبتكرُ
من أجل أولادنا، من أجل نخبتنا
من أجل من قاوموا فقرًا، وما هجروا

* * *

... عفوًا، أبا نعمت، يا شجرةً خَلدتْ
وبعضُ أطيابِها الأغصانُ والثمرُ
يا سيّدي، يا كبيرًا في تواضعه
إنْ مسّك العيبُ، مُسّ النبلُ والكبرُ
يا قاهرَ المالِ، والأمجادُ زائفةٌ
قاومتَ داءكَ، كالأبطالِ، إن عثروا
لا يسقطون، ولا تكبو مهابتُهم
كأنّما الموتُ منهم خائفٌ حذرُ

* * *

يا حاملَ الوزناتِ العشرِ ما خذلت
كفاكَ قلبَك، لكن خانَك العمرُ
ومكرماتُك بين الناسِ ناطقةٌ
والمكرماتُ ببعضِ الناسِ تُختصرُ
عَبرتَ من ظلمةِ الدنيا إلى خُلُدٍ
كما النبيّون، في إشراقهم، عبروا
إذا افتقدتَ وجوهَ الأهلِ، مُرّ بنا
الحبُّ يجمعُنا، والكلُّ ينتظرُ

وكمثل ما يَليقُ بجورج افرام المصلّي، رفع رئيسُ **الجامعة الأب وليد موسى** الصلاةَ ضارعًا:

يا ربّ،

ها نحن، الليلة، نجتمع على اسمك، لنتذكّر رجلاً غاب عنّا منذ ثلاث سنوات.

غاب بهدوء وسكينة، بشجاعة ورضا، هاتفًا باسمك، مردّدًا: لتكن مشيئتك.

كان مؤمنًا، يا يسوع، إلى حدّ الطفولة. وكان من هؤلاء الذين قلت عنهم: طوبى لأنقياء القلوب لأنّ لهم ملكوتَ السماوات.

كان جسرَ تواصل بين الناس، وعلامةَ محبّة وسلام.

هو واحد من هؤلاء القلائل الذين أشرت إليهم، عندما قلت: كنت جائعًا فأطعمتموني، كنت عريانًا فألبستموني، كنت مريضًا فداويتموني.

ونستطيع اليوم أن نضيف: كنت عاطلاً عن العمل فأمّنتم لي الوظيفة. كنت عاجزًا عن الدراسة فأمّنتم لي المدرسة والجامعة. وكنت يائسًا وكافرًا بالدولة وبأهل السياسة فأعدتم لي رجاء الايمان بلبنان ومستقبله وبناء دولته على أسس الحقّ والعدالة والخير.

نعم، يا يسوع، هو واحد من هؤلاء اللبنانيّين الأبرياء، الذين قضوا حياتهم في العمل والنضال والجهاد، لعلّهم يساهمون في إنقاذ مجتمعهم ووطنهم.

لذلك، أرجو منك، يا الله، أن تمنحه الفرح الذي يستحقّ، والراحة التي تجعله، من عليائه، يتابع مسيرتنا على هذه الأرض، ويصلّي من أجلنا.

ومن خير الصور المطبوعة في وجدان عارفي جورج افرام الصورة التي ذكّر بها **النائب والوزير السابق جان عبيد**، وهي صورةُ الرجل العصاميّ الكفيّ التقيّ الوفيّ السخيّ، فقال:

عصاميٌّ في ما أنجز، والانجازُ بابُ الخلود.

كفيٌّ في ما عمل، والكفاءةُ رأسُ الرساميل.

تقيٌّ في ما آمن، والتّقوى إكرامٌ عند الله وتكريمٌ لله.

وفيٌّ في ما أقدم، والوفاءُ شجاعةٌ عند شدّة الأصدقاء، وقوّةٌ عند ضعفهم.

سخيٌّ، والسخاءُ طبعٌ في القلب لوجه الله، وخُلُقٌ في النفس بين الناس.

وللنفس أخلاقٌ تَدلُّ على الفتى
أكان سخاءً ما أتى أم تساخيًا

(المتنبّي)

وكان جورج فرام صديقًا صادقًا. وإذا كان الأخ نسيب الجسد، فالصديق هو نسيب الروح.

وكان جورج فرام حكيمًا وحليمًا. وقد آتاه الله الحكمةَ، وفي الذكر الحكيم «ومن يُؤتى الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا».

وكان حليمًا وحلمُه عن طباع وعن شجاعة واقتدار، لا عن جبن أو انكسار.

وكما يقول السيّد المسيح أعطاه من الوزنات الكثير في الخُلق والخَلق. ووهبه الله في طليعة النعم نعمةَ الأولاد الأبرار وهمّةَ الأخوة الصالحين.

الأولاد الأبرار وهمّةَ الأخوة الصالحين.
وكان من نِعم الله عليه كما يقول الإمام عليّ، حاجةُ الناس إليه. وقد استعان على قضاء حوائج الناس بالكتمان، على قاعدة قول السيّد المسيح: لا تدري يمينه ما فعلت شماله.فقد بان أثر إنعام الله على جورج فرام على من عرف وعايش وعاين واستعان بجورج فرام «لأنّ من يعمل مثقال ذرّة خيرًا يره، من يعمل مثقال ذرّة شرًّا يره» كما يقول الذكر المبين.
لقد كان جورج افرام أيضًا من المسيحيّين الموارنة المؤمنين بالصلوات وبالأعمال، لا بالهويّة والوراثة فقط. وهو في السياسة، كما في الحياة، من نوع موارنة التراث لا الميراث فحسب. هو من صنف الموارنة الذين حباهم الله ضميرًا حيًّا، ونفسًا رفيعة، وانتماءً عريقًا، وتواضعًا كبيرًا، وقلبًا واسعًا، وعقلاً راجحًا، وإيمانًا عميقًا بربّه وبدينه ووطنه ومحيطه العربيّ المباشر والانسانيّ الكبير. لذلك أحبّه وحزن على فقده عارفوه وقادروه ومُريدوه في طوائف ومناطق لبنانيّة عديدة وفي أقطار ودول متعدّدة.
ومن هنا وفي ذكراه نقول لقادة الموارنة، ومن خلالهم للمسيحيّين، ولسائر اللبنانيّين، تَباروا ولا تَتناحروا، أسقطوا العنف والتشاكس وأقيموا الديمقراطيّة والتنافس، بذلك تَليقون بالآباء المؤسّسين وبمن اهتدى واقتدى جورج فرام بهم...

وزير الداخليّة والبلديّات الأستاذ زياد بارود، وقد مثّل في المناسبة رئيسَ الجمهوريّة العماد ميشال سليمان، ترك لمسار الرجل أن ينطقَ بحكاية حاله، فقال:
مساره حكاية ناطقة بذاتها. حبكها صناعيًّا بيدين نظيفتين، طبع فيها أجمل أحرف طِباعه، وحملها إلى الناس يخبرهم، بتواضع المترهّب، أنّ سرّ النجاح عائلة ومثابرة وصدق ووقار.
أمّا في السياسة، فقد كان قليل الكلام متألّق المعاني غير متملّق. لا يقول ما يفعل، وإنّما يُروى عنه فعله بعد حين عندما يثمر.
خسارة جورج افرام خسارة نموذج في العمل العامّ. يأتيك الرجل مثقلاً بأفكار التطوير والإصلاح والحداثة، يطلق خليّة نحل، بل خلايا، يبادر، يشبّك، يدعم، يناصر، ثمّ يجعلك تتيقّن أنّ مؤسّسة ما قد انطلقت، ولا همّ بعد ذلك من تحمله الأيّام لقيادتها. المهمّ أنّ المسار انطلق.
المهمّ أنّ الغاية أهمّ من الرجل، أيّ رجل.
هذا الزارع في كرم الربّ أثمر زرعه والبذور.
فالأرض خصبة والعمل كثير، وإنّما الفعلة قليلون.
وتابع: لهذا الرجل عندي مكانة النموذج والمثال.
هو الناجح بعرق الجبين لا بصُدفة عابرة أو دعم مُلتبس. هو الكشّاف «المستعدّ دائمًا للخدمة»، فتىً وشابًّا وكهلاً. هو الأب الحاضن لعائلة كريمة ولعائلات من المحبّين. هو الآتي إلى الحياة العامّ على نقيض مَن أتاه ليُخدم لا ليَخدُم.
وأخيرًا، وفي معرض الشكر، شهد شاهدٌ من أهله، بل فلذةٌ منه، بل **فلذتُه البكرُ المهندس نعمت،** الذي قال:
توأَمَ جورج افرام الروحَ بالعلم والعمل. فأتى أسلوبُهُ مزيجًا من الالتزام العميق والاحتراف المبدع.
تَحوّلَت رسالتُهُ إلى فلسفة تقطّرت وأصبحت أكثرَ نقاءً بعدَ غيابِه... منارةً في الليالي الحالكة وتوقًا نحوَ الأفضل في زمن الآفاق المفتوحة.
الليالي الحالكة وتوقًا نحوَ الأفضل في زمن الآفاق المفتوحة.
تمثّلَت ترجَمَتُهُ الأولى لتوأمَة الروح بالعلم والعَمَل، في شعار شركته اندفكو: «كُلٌّ ما هو خيرٌ للمجتمع هو خيرٌ لمؤسّستنا».
لقد استخدَمَ هذه الحِكمَةَ البسيطة، هذه الطيبة الكاملة، بمثابة قاعدة للنجاح في العمل الخاصّ.
ويعودُ الفضلُ لنُمُوّ مجموعتنا الصناعيّة وانجازاتها اليوم، إلى صوابيّة هذه الحكمة ونقاء هذه الفلسفة.
وعلى الروحيّة ذاتها، فَعّلَت «مؤسّسة جورج افرام» رسالتَها في المجتمع المدنيّ. فوضعَت في سُلّم أهدافها

جان عبيد

زياد بارود

نعمت جورج افرام

التنميةَ الشاملة للإنسانِ الفرد وتحصينَ كرامته ومضاعَفَةَ قُدُراته، من خلالِ دعمِ المؤسّساتِ التربويّة ونشر مبادئ الشفافيّة والانفتاح.

أمّا ثاني الترجمات لتوأمَة الروح بالعلم والعَمَل فتجلّى في أسلوبِ قيادة جورج افرام. فهو كانَ يؤمِنُ بالقيادةِ الخادمة. الكبيرُ فينا هو خادمٌ للمجموعة.

وتجسّدَ هذا المفهوم بنوع من المثاليّة العمليّة، في توازنٍ دقيق، رهيف لا بلْ أنيق، بين المعرفةِ والبساطة، بين الهَيبةِ والتواضع، بين العنفوان والطيبة، بين الحكمَة والرَحمَة ، وأساسُها كُلُّها، لا بل أعظَمُها، المحبّة.

واكتمَلَ أسلوبُ القيادَة الخادمَة لديه من خلال مقارَبَة مختلفة لإدارة الشأن كُلِّها، لا بل أعظَمُها، المحبّة. واكتمَلَ أسلوبُ القيادَة الخادمَة لديه من خلال مقارَبَة مختلفة لإدارة الشأن العامّ. «كُن وَطنيًا، لا سياسيًا»، كان يقول.

وكان يعني بذلك: لا تبحث عَمّن معه الحقّ، بل ابحَث عن الحقّ وافعَلْ حصرًا ما هو حقّ.

وعاهد بالقول: سويّةً، وبروحيّة جورج افرام، سنتابعُ المسيرّة لبناء الإنسان اللبنانيّ المختلف، ولقلب المعادلات الفاسدة، ولقيام المجتمع الذي نطمحُ إليه . وسويّة، تعالوا نقلْ مع جورَج افرام «لا تتوقّعوا أن يُقَدّمَ لكم أحَدٌ الوطنَ الذي تحلُمُونَ به. أبنوهُ أنتُم على صورةِ قِيَمِكُم ومثالِ طُمُوحَاتِكم».

في أسبوع الأصمّ العربيّ

تكريمٌ لإعلاميّين معنيّين

بمناسبة أسبوع الأصمّ العربيّ، كرّمت جامعة سيّدة اللويزة- زوق مصبح، الإعلاميّين هيام أبو شديد، ماغي عون، ريما رحمة، رلى معوّض، زافين قيومجيان، الدكتور نبيل خوري والبروفسور أنطوان رومانوس، تقديرًا لجهودهم ونشاطاتهم في المجالات التي تعنى بالصعوبات الإنسانيّة والاجتماعيّة.

حيّا المدير المساعد في مكتب شؤون الطلاّب **د. زياد فهد** الإعلاميّين على اهتمامهم بقضيّة الإنسان الأصمّ التي حملوها ونقلوها بقلوبهم وأصواتهم لئلاّ يبقى هذا الانسان أسير الجدران، نتذكّره في بعض المناسبات إن تذكّرناه.

وإذ أكّد التزام الجامعة قضيّة كلّ إنسان وكلّ الانسان، توجّه إليهم بالقول: «طوبى لكم, يا رسلاً حملوا شأن الانسان المحتاج من دون ملل ولا تعب».

البروفسور رومانوس كانت له محاضرة بعنوان: «الانزلاق المحتوم من البيولوجيّ إلى الثقافيّ في التعامل مع الصمّ»، قارن فيها بين المفهومين القديم والحديث لإشكاليّة الصَمم والصمّ.

وبعد أن أشار مدير العلاقات في الجامعة **الأستاذ سهيل مطر** إلى أنّه كثيرًا ما يُشتكى من الإعلام على أنّه وسيلة استفزاز أو صانع فضائح ومثير فتن، هنّأ المحتفى بهم على التزامهم بمساعدة كلّ محتاج.

وفي الختام، شكر **وسام قسطنطين** باسم زملائه الطلاّب الصمّ، الجامعة والوجوه الإعلاميّة الحاضرة، الذين تسلّموا دروعًا تقديريّة وأكّدوا دوام التزامهم قضيّة كلّ إنسان محتاج بتصميم وتعميم.

حبيب فوّاز
-طالب-

أمين ألبرت الريحاني في
الموسوعة الدوليّة للثقافة

صدرت في كامبريدج، بريطانيا، الموسوعة الدوليّة للثقافة بعنوان «مثقّفون مميّزون في القرن الواحد والعشرين»، وذلك عن المركز العالميّ للسِيَر الذاتيّة. تضمّ الموسوعة ألفي سيرة لكُتّاب وباحثين من مختلف أنحاء العالم؛ مع التوقّف عند مؤلّفاتهم، وأبحاثهم المنشورة، إضافة إلى تكريمهم وعضويّتهم في المؤسّسات العلميّة وجمعيّات الاختصاص. وقد اختارت الموسوعة الكاتب والباحث اللبنانيّ أمين ألبرت الريحاني من مجموعة الألفي كاتب من حول العالم، وتوقّفت عند مؤلّفاته العربيّة والإنكليزيّة، والجوائز الأدبيّة التي نالها، وعضويّته في المؤسّسات العلميّة والأدبيّة الدوليّة. وممّا ورد في التعريف، المقتطف الآتي:

تَخَصّص البروفسور الريحاني في الآداب المقارنة، وتبوّأ مناصب جامعيّة عدّة، آخرها في لبنان منصب نائب رئيس جامعة سيّدة اللويزة للشؤون الأكاديميّة. من مؤلّفاته الإنكليزيّة: التعدّديّة الثقافيّة والأدب العربيّ الأميركيّ، دراسة تأسيسيّة، (٢٠٠٧) Multiculturalism and Arab-American Literature؛ **ومن أعماله العربيّة: قطار ولا محطّة، حواريّة ثلاثيّة الصوت حول مسألة الزمن (٢٠٠٦)؛ عشبة المدائن، إيقاعات بين مَواطن الشمس ورذاذ المطر، (٢٠٠٢)؛ الينابيع المنسيّة، أو محاولة استكمال للصورة الأدبيّة، (٢٠٠٠)، طقوس الماء، رسائل موجعة إلى سيرين (١٩٩٩)، أقاليم النفْس المتمادية، في نقد الأدب والثقافة (١٩٩٦)... ويشير التعريف إلى الأبحاث والدراسات المنشورة للريحاني «الثاني» في مجلاّت البحوث المتخصّصة محليًا وعربيًا ودوليًا، كما يعدّد أبرز الجوائز ومنها جائزة سعاد الصباح الأدبيّة التي تمنحا جمعيّة خرّيجي الجامعة الأميركيّة في بيروت. ومن الجمعيّات الدوليّة التي ضمّته إلى عضويّتها: الجمعيّة الدوليّة للإداريّين الجامعيّين، جمعيّة الدراسات الشرق أوسطيّة، المؤسّسة الدوليّة لتطوير المناهج الجامعيّة، الجمعيّة الأميركيّة في الولايات الوسطى للاعتماد الجامعيّ، وجمعيّة تقدّم التعليم العالي حول العالم... وقد حاضر أمين ألبرت الريحاني في عدد من الجامعات الأميركيّة ومنها: جامعة يال** Yale، **جامعة ماريلاند، والجامعة الأميركيّة في واشنطن.**

Ameen Albert Rihani in **the Encyclopedia of the 21st Century Intellectuals**

The Encyclopedia of the 21st Century Intellectuals was published recently by the International Biographical Center, Cambridge, England. It covers information about two thousand writers and scholars from all over the world. The information covers the works, publications, awards, and professional memberships. Ameen Albert Rihani was selected among the 2000 writers and scholars published in the Encyclopedia. Among other information introducing Dr. Rihani, the following was mentioned about his achievements:

Professor Rihani is specialized in Comparative Literature. He was appointed in a number of university administrative posts, the latest of which is his present post as the Vice President for Academic Affairs at Notre Dame University, Lebanon.
Among his works are:
Multiculturalism and Arab-American Literature (2007), A Train and No Station (Qitar wa la Mahatta, 2006), Cities' Grass ('Oushbat-ul Mada'en, 2002), Forgotten Springs (Al-Yanabee' al-Mansiyya, 2000), Water Rituals (Tuqous-ul Maa', 1999), Provinces of a Far going Soul (Aqaleem-un Nafs-il Mutamaadiyah, 1996)...
The section dedicated to Rihani Junior mentions his several publications, awards, and international memberships. The latest award he received was the Suad As-Subah Literary Award presented by the AUB Alumni Association. Among the professional memberships are: the Association of College Administration Professionals (ACAP), the Association of Supervision and Curriculum Development (ASCD), the Association for the Advancement of International Education (AAIE), the Middle Eastern Studies Association (MESA). Rihani also lectured in a number of universities such as Yale, Maryland, and the American University of Washington D.C.

من حصاد العمل الرعويّ الجامعيّ

مع آمّهاتنا

في صوت المحبّة

في هذه السنة البولسيّة نتأمّل في سيرة حياة القدّيس بولس، رسول الأمم. فقد كان للعمل الرعويّ الجامعيّ وقفة مع رسالة بولس إلى أهل رومة ١٢: «الحياة الجديدة في المسيح»، من خلال مشاركة سبعة أعضاء مع المرشد الأب فادي بو شبل في مناقشة مفتوحة حولها عبر إذاعة صوت المحبّة، في ٦ آذار ٢٠٠٩.

عيد الأمّهات

حمل عيد الأمّهات رسالة شكر وحبّ وتقدير من الشبيبة إلى جميع الأمّهات، بحضور حوالى المئة شخص، تقاسَموا الطعام والشراب، واشتركوا في القدّاس الإلهيّ الذي ترأّسه رئيس الجامعة الأب وليد موسى مع **الأب بو شبل** الذي جاء في كلمة له: «إنّ أروع أعمال قلب الله، هو قلب الأمّ». هذا ما قاله المطران دوبان لو، في إحدى محاضراته للنساء المسيحيّات، وتردّد على لسان القدّيسة تريزيا الطفل يسوع: «أعلم أيضًا تمام العلم أنّ الله سكب في قلوب الأمّهات شيئًا ما من الحبّ الذي يفيض به قلبه» (ص ٨٠٣).

قيل في الأمّ الكثير، وسيقال الأكثر. أمّا أنا، وباسم هؤلاء الصبايا والشباب الذين أحبّهم وأشكر الربّ إلهي كلّ حين لأنّه جعلني ألتقي بهم، فأقول لكلّ أمّ: نحن نحبّك. أنتِ أروع ما خلق الله.

سأتكلّم بصيغة المفرد، لأنّي باسم كلّ شابّ وصبيّة أتكلّم.

أحبُّكِ يا أمّي، لأنّكِ مع والدي والله أعطيتموني الحياة.

أحبّكِ لأنّكِ على مثال مريم العذراء، تسمعينني قبل أن أتكلّم، وتطلبين لي قبل أن تنقص خمرة فرحي.

منكِ أتعلّم الحبّ والمشاركة والتضامن والعطاء.

وبنعمة الله أعرف أن أكون صالحًا في المجتمع الذي أحيا فيه.

يا أمّاه تأمّلي، كيف حاكني الله في أحشائكِ، ونسج عروقي في كيانكِ، وبنى عظامي في داخلكِ؟

تأمّلي، كم كانت ملاطفاتكِ التي غمرتِني بها في فكركِ وقلبكِ، وكم عشتِ من الحبّ والانتظار والشوق لرؤيتي؟

دمي من دمكِ، وقلبي من قلبكِ، فأنت أنا وأنا أنتِ، فكيف لا أحبّكِ؟

أخبريني عن شعوركِ الأوّل بعد ولادتي، وعن الحبّ الذي رافق نموّي؟ كيف لا أندهش بكِ!

كم من الفرح غمر قلبكِ عند نجاحي، وكم من

في الاردنّ

في الطبيعة

الحزن عصر قلبكِ عند آلامي؟ آه ما أعظم سرّكِ!
ما أرقّ قلبكِ يا أمّي، وما أجمل عينيكِ، أنتِ يا من تعرفين كيف تعبّرين عن حنانكِ بألف نوع من الاهتمامات اللطيفة، التي لا تخطر على بال أحد؟
كم هو عظيمٌ حضوركِ!
لأجلكِ يا أمّي أصلّي، ولأجل كلّ الأمّهات أيضًا، مستشفعًا العذراء مريم، أحنّ الأمّهات وأطهرَهنّ، ليحفظكنّ الله بعنايته ويسكب عليكنّ من رحمته، ويعظمّكن بفيضٍ من ألطافه.
مع آبائنا وإخوتنا، نتقدّم منكنّ بالمعايدة والتهاني ونحن نرنّم:

«ولو يا ربِّ في اليوم العظيم
تلوت عليّ حكمك بالجحيم
فلي أمل بأن ستعود يومًا
فتصفح في جهنّمَ عن أثيم
وقلبُكَ يستحي من قلب أمّي
(رشيد سليم الخوري)

رياضة الفصح

تحت عنوان «صمت وصلاة» اجتمع ٥٥ شاباً وصبيّة في دير أمّ الله– عجلتون للقاء الربّ في رياضة روحيّة صامتة. تأمّل المجتمعون في اليوم الأوّل من اللقاء، ٢٨ آذار، في الصمت وأهميّته، بهدف الإصغاء إلى إلهامات الروح و معرفة مشيئة الله. كما أنّهم اختبروا الصلاة التي تنبع من الصمت

Open doors

من أجل تعميق الانخراط في الوسط الجامعيّ كان لنا stand في الـ open doors الذي أقيم في ٣ نيسان ٢٠٠٩، حيث عرضنا صورًا لنشاطاتنا تبرز نوعيّة أعمالنا وأهدافنا، ووزّعنا السكاكر.

رحلة الشوف

نظّمنا رحلة إلى دير القمر، شارك فيها أكثر من ٥٠ شخصًا، فزرنا جبل الصليب، ومزار حمل الله، وسيّدة التلّة، ثمّ المنزل الوالديّ لرئيس الجامعة حيث تناولنا بركة العيد قبل الانتقال للغداء، على نهر وادي بنحلَيه.

Founder's Day

بمناسبة عيد الجامعة الـ ٢٢ اجتمعت أندية جامعة سيّدة اللويزة في احتفال احتشد فيه طلاّب من كلّ جامعات لبنان تحت عنوان «Roll out Hollywood's Red Carpet».
بدأ الـ Founder's Day بالقدّاس الإلهيّ، الذي احتفل به **الأب فادي بو شبل**، وقال:
في زمن عيد القيامة المجيدة وفي الشهر المكرّس لإكرام أمّنا مريم، نقف اليوم لنحتفل بعيد جامعتنا التي تزهو وتنمو يومًا بعد يوم، بفضل نعمة الله وحضور العذراء مريم فيها، ومجهود كلّ واحد منّا. هو العيد الثاني والعشرون لجامعتنا، وهذا ما يجعلنا نتأمّل في كلّ ما أفاضه الله عليها من مواهب وعطايا، من نموّ وازدهار، من تقدّم ونجاح؛ وكأنّي به يدعوها من الكتاب المقدّس «هلمّي يا جميلتي، هلمّي معي من لبنان».
نعم إنّ جامعتنا جميلة بتربّعها ملكةً على هذه التلّة الرائعة، وجميلة لأنّها تحمل سمات أمّها العذراء القدّيسة، وجميلة بكم أنتم الرهبان والإداريّين والعمداء والأساتذة والموظّفين والطلاّب والخرّيجين والأصدقاء والأمناء والأسخياء.
الأب الرئيس ركّز في كلمته أمس على الإنسان، فدعانا إلى العمل معًا من أجل تنمية هذا الإنسان على أسس الحقّ والخير والجمال، وترسيخ القيم في طلاّبنا وطالباتنا من خلال الحوار وبناء الثقة، وإفساح المجال لهم للمشاركة في صياغة القرارات التي تعنيهم، والتركيز معهم على الأبعاد الإيمانيّة التي تدعو إلى السلام والمحبّة.
وعليه، أرى أنّ علينا أن نطرح على أنفسنا بعض الأسئلة:
قال أحد القدّيسين: «الحضور بمقدار المحبّة».
فكيف هو حضوري في هذه الجامعة، وكيف هي محبّتي لهذه المؤسّسة؟
وقال آخر «بمقدار الحبّ يكون الالتزام». فكيف هو التزامي في الجامعة؟ هل هو لاكتساب لقمة العيش فحسب أم هو التزام بقضيّة نموّي الشخصيّ ونموّ من أنا مسؤول عنهم بغية أعطاء قيمة لحياتي من خلال مشاركتي في إعطاء قيمة للإنسان الذي أعمل معه؟

في ذكراهم

الأب الرئيس يردّد دومًا إن نجحت المؤسّسة نجحنا كلّنا، وإن فشلت فشلنا؛ ماذا أعمل لأنجاح الـNDU ؟ إنّ مبدأ الجامعات هو إعطاء فرصة لكلِّ إنسان بأن يطوِّر ويتطوّر، ويحقّق رسالته في هذه الحياة من خلال رسالة المؤسّسة التي ينتمي إليها؛ فهل أستطيع بعد كلّ يوم أن أقول للربّ قد تمّ ما كان ينبغي أن أفعل؟

إنّ الربّ يسوع يقول لنا في إنجيله الطاهر: «ما من خفيّ إلاّ سيعلم، وما من مكتوم إلاّ سيكشف»؛ فهل أنا أعلم أنّ العمل وسيلة لقداستي التي سأنالها بمقدار عيش الأمانة فيها؟...

أمّا العمل الرعويّ الجامعيّ فقد استوحى القوّة، من فيلم Hercules فكانت لعبة القوى التي خلقت جوًّا من التنافس والحماس بين المتبارين، وكانت جائزة Best Club Activities من نصيب الـ pastoral. ولم يقفل مقهى أبو الزوس أبوابه!

رحلة حجّ إلى الأردن

في ٨ أيّار، اتّجه ٢٥ شابًّا وشابّةً من العمل الرّعويّ الجامعيّ مع مجموعةٍ من الحجّاج إلى الأردن لملاقاة البابا Benedictus XVI في زيارته للأراضي المقدّسة. لن ننسى أبدًا وقفةَ قداسته المبشّرةَ أمامنا، ولن تمّحيَ نظرتهُ الثاقبة فينا، ولن تفارقنا بركَتَهُ الأبويّةُ والرّسوليّة التي حلّت علينا...

بهم يهتمّ العليّ

نظرة أمل ورجاء بالمسيح هيمنت على جامعة سيّدة اللويزة يوم الجمعة الواقع فيه ٢٩ أيّار ٢٠٠٩، حيث احتفل بالذبيحة الإلهيّة على نيّة الطلاّب الذين غادرونا إلى الملكوت السعيد الأب فادي بو شبل يعاونه عدد من الكهنة المريميّين.

اشترك في هذا الاحتفال أهالي الطلاّب وأصدقاؤهم. بدعوة من العمل الرعويّ الجامعيّ، وبمشاركة أندية الجامعة وكشّافة لبنان والـ yasa، واللجنة الوطنيّة لوهب الأعضاء والأنسجة، وكُنْ هادي، ومشاركة جوقة سانتا ماريّا والآنسة عبير نعمة، اجتمعنا باسم الربّ يسوع.

وممّا قاله **الأب بو شبل** في القدّاس:

في الحقيقة، من رأى كيف كان شبابنا يعملون ويهتمّون بتنظيم هذا الاحتفال، يكتشف ثلاثة أمور:

أوّلاً: الوقوف قرب الأهل، والتأكيد على الحبّ الذي بشكلٍ أو بآخر لا يزال يربط فيما بيننا.

ثانيًا: لنؤكّد أنّ شبابنا وصبايانا، وإن غابوا عنّا، هم غائبون في الحضور، أي في الله. نعم، أمواتنا هم في قلب الله.

ثالثًا: لنؤكّد أيضًا أمانة المحبّة نحو أصدقاء لنا وأحبّاء، ولكي نقول لهم: إنّ المحبّة التي جمعت قلوبنا برباط الصداقة، لا تزال قائمة فيما بيننا، لأنّنا مؤمنون أنّ الله الذي هو محبّة، كلّنا «فيه نحيا ونتحرّك ونوجد» (إع ١٧/٢٨) أحياءَ كنّا أم أمواتًا.

تمجيدًا للقربان

وتبقى كلمة لا بدّ من قولها، وهي موجّهة إلى الأهل والأحبّاء:

إنّ الموت يتطلّب من الإنسان الاتّضاع أمام أحكام الخالق، لأنّ الله وحده هو سيّد الحياة والموت، وهو يحبّنا ويحبّ من نحبّهم أكثر ممّا نحبُّ نحن، وإن كان الأمر صعبًا علينا أن نفهمه فلنصلِّ ليمنحنا الربّ نعمة الإيمان.

ها هي القدّيسة تريزيا الصبيّة الشابّة، معلّمة الكنيسة، تأتي لتساعدنا بكلماتها إذ تقول لنا: «أنا لا أموت بل أدخل الحياة» وتضيف: «لقد وضع يسوع أمام عينيّ كتاب الطبيعة، وفهمت أنّ جميع الأزهار التي خلقها جميلة، وأنّ سناء الوردة ونصوع الزنبق لا يُزيلان أريج البنفسجة الصغيرة، ولا يسلبان الأقحوان بساطته الفتّانة... وكذلك هو الأمر في عالم النفوس...»

لذلك، فإن كنّا ننظر إلى الشباب الذين سبقونا أنّهم أرزات عاليات أو أشجار سنديانة عتيقة، فربّما لم نفهم حكمة الله، لأنّهم لم يبلغوا إلى الكمال الذي كنّا نحن نريده لهم؛ ولكنّنا إن نظرنا إليهم على أنّهم زنابق مكتملة، وورود فوّاحة عطرة، سوف نشكر الربّ من أجل عنايته الفائقة بهم، ونرتّل له المجد الحقيقيّ لأنّه سمح لنا أن نعيش معهم أيّامًا جميلة.

اليوم، ونحن نصلّي لأجلهم، نسكب عليهم فيضًا من الحبّ والرحمة، التي نستمدّها من هذه الذبيحة، فيكتملوا في المحبّة ويستطيعوا معاينة وجه الخالق، حينئذٍ يحملوننا بصلواتهم فنستريح ونهدأ.

وتبقى مريم الأمّ الواقفة تحت الصليب، علامة رجاء لكلّ أمّ وأب، أخت وأخ، صديق وصديقة، واقفةً لتعلّمَنا أنّ الكلمة الأخيرة ليست للجمعة العظيمة، مهما كانت آلامها قاسية، إنّما لفجر الأحد، أحد القيامة، حيث الله «يمسح كلّ دمعة من عيوننا» (رؤ ٤/٢١)، ويجلسنا مع أحبّائنا «المدعوّين إلى وليمة عرس الحمل» (٩/١٩)، «فنراه كما هو» (١ يو ٢/٣) و«نعرفه كما يعرفنا» ونفرح ونسرّ بما «لم تبصره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر» (١كو ٩/٢)، حيث «لا يبقى موت ولا حزن ولا صراخ ولا وجع» (رؤ ٤/٢١) «إنّما سلام وفرح بالروح القدس» (رو ١٧/١٤).

المسيح قام حقًّا قام.

Picnic Ajaltoun

لقاء فرح جميع أعضاء الpastoral ، في أحضان طبيعة عجلتون، حول مذبح الربّ ثمّ الغداء، يوم الأحد الواقع فيه ٣١ أيّار ٢٠٠٩.

عيد القربان

للسنة الرّابعة على التوالي، ينظّم العمل الرعويّ الجامعيّ (NDU) وجماعة الصلاة المريميّة (Pod Bordo) احتفالاً بعيد القربان الأقدس في حَرم الجامعة، بدأ بالقدّاس الإلهيّ الذي ترأّسه الأب فادي بوشبل يعاونه لفيفٌ من الآباء وخدمته جوقة سانتا ماريّا، وانتهى بتطوافٍ للقربان على وقع روحانيّة القدّيس بولس وتحت عنوان: اقتدوا بي مثلما أقتدي أنا بالمسيح.

الأب بو شبل انطلق في كلمته من أنّ الجامعة التي هي مملكةُ مريم، إنّما المكانةُ الأولى فيها للمسيح الملك، عطيّةِ الآب للبشريّة؛ ولذلك، هي تدأبُ على تمجيد القربان الأقدس، باعتبارِ أنّه ترجمةٌ لحبّ الله الذي صار إنسانًا.

ndu spirit

وجه كاهن مريميّ

الأب فادي بو شبل

جناديوس موراني، كاهنٌ مريميّ، نتذكّره بعد خمسين سنة على استشهاده. لماذا؟

أضواء على شخصيّته.

بعضٌ من روحانيّته.

كان يومَ سبتٍ في الرابع والعشرين من سنة ١٩٥٩، حين ذهب الأب جناديوس وشقيقه الأخ حنّا برفقة ابن عمّهما الأب جورج إلى القبيّات للاحتفال بإكليل أخيه الكبير وجيه. وقبل حلول الظلام، حوالى الساعة الخامسة عند منعطف البيرة، القرية الأخيرة قبل القبيّات، دوّى صوت رصاص قويّ وكأنّه ألغام، فأصيبت السيّارة التي كانت تقلّهم، فأوقفها السائق بعد أن هتف: «قضيَ علينا» وهرب. وفيما الأخ حنّا اختبأ خلف عجلة السيّارة الأماميّة لجهة اليسار، بقي الأب جناديوس والأب جورج في الجهة الخلفيّة. ويخبر هذا الأخير ما يلي: «في تلك الأثناء منذ توقّفت السيّارة كان الأب جناديوس قد صرخ: «يا عدرا»، وكانت تلك كلمته الأخيرة....».

سقط جناديوس شهيدًا بعمر اثنين وثلاثين عامًا، إثر جراح بليغة سبّبتها اثنتان وثلاثون رصاصة اخترقت جسده، بدلاً عن غيره.

ولكي نفهم هذه الحادثة أكثر، نحن مدعوّون لقراءة وتأمّل جزء من صلاته التي كتبها يوم سيامته الكهنوتيّة إذ قال: «**أيّها الربّ يسوع، إنّي أقدّم ذاتي، على يدي مريم الكليّة الطهارة، محرقة لحبّك الرحوم. إنّي أكرّس لك بنوع خاصّ حياتي، فخذها ساعة تريد. إنّي أكرّس لك دمي، فخذه ساعة يطيب لك**».

من الصعب طبعًا أن نفهم هذه التقدمة من دون الإيمان. ولكن، إن طالعنا حياة تريزيا الطفل يسوع التي تأثّر بها جدًا الأب جناديوس، ربّما نستطيع أن نفهم أكثر أنّ أفكار الربّ غير أفكارنا وطرقه غير طرقنا. وتقدمة الذات هذه، ضحيّة للحبّ الإلهيّ، أرادها من أجل وحدة المسيحيّين، لاسيّما وحدة الكاثوليك والأرثوذكس؛ وشاءت العناية الإلهيّة أن تكشف قبولها لهذه المحرقة، إذ كان استشهاده ليلة ختام أسبوع الصلاة من أجل وحدة المسيحيّين.

خمسون سنة مرّة على استشهاد هذا الراهب، والروح القدس لا يزال يبعث بأنوار إلهاماته إلى كهنة من أبناء الرهبانيّة المارونيّة المريميّة، لتسليط الضوء على شخصيّة هذا الكاهن، الذي ترك من خلال رسائل أرسلها إلى آباء وإخوة وأصدقاء، تراثًا روحيًّا عظيمًا، ثمرة النعمة التي لمست قلبه بعد صراع في دوّامة الشكّ وفَقْد الإيمان.

خمسونَ سنة مرّت... وحلم الأب جناديوس تحقّق، هو الذي كتب يومًا في خواطره الروحيّة: «**لقد فكّرت للمرّة الأولى أنّ العذراء تريد أن تكون ملكة في رهبانيّتي. وربّما ستحتلّ مكان القدّيس أنطونيوس: «رهبانيّة سيّدة الإنتقال»... ويستطيع الله وحده أن يتمّ ذلك..... وإذا أراده أتمّه بسهولة**». وطلب من الأب العامّ بعد زيارته إلى مغارة سيّدة لورد سنة ١٩٥٧ أن يكرّس النشء في الرهبانيّة للعذراء بعد أن أفهمته أنّها ستكون يومًا ملكة في رهبانيّتنا، وستكون إلى جانبنا في الصعاب لتساعدنا وتباركنا وتنيرنا وتمنحنا القوّة.

وشاءت العناية الإلهيّة سنة ١٩٦٩ أن تصبح الرهبانيّة بشيبها وشبابها تحمل اسم هذه الأمّ البتول، وذلك بعد عشر سنوات من استشهاد الأب جناديوس؛ إذ تحوّل اسمها من الرهبانيّة اللبنانيّة الحلبيّة المارونيّة إلى الرهبانية المارونيّة للطوباويّة مريم العذراء، المعروفة بالرهبانيّة المارونيّة المريميّة.

خمسون سنة مرّت وكتاب نشيد الحبّ الحاوي رسائله، لا يزال قادرًا على تغذية النفوس، وإروائها من الحبّ الإلهيّ.

ولمَ لا يتعرّف الناس على كنزنا المريميّ، ويطلبون معنا من الله أن يُمجّد خادمه ويظهر قداسته لخير الكنيسة كلّها؟

من هو جناديوس موراني؟

هو ذاك الشاب الآتي من بلاد القدّيس مارون، يحمل في عروقه دمًا مارونيًا من جهة أبيه، ودمًا أرثوذكسيًا من جهة أمّه. هو ابن المُهيري– الموارنة، المولود يوم عيد سيّدة البشارة في ٢٥ آذار ١٩٢٧ ، ولذلك دعاه أبواه مخايل سليمان موراني ومريم إسبر بشّور، بشّور تذكارًا لعيد البشارة وتيمّنًا بعائلة الوالدة، وهو أخٌ لثلاث بنات وخمسة صبيان. نال سرّ العماد المقدّس في كنيسة القدّيس يوحنّا المعمدان في قريته، فسمّيَ بشارة وكان له من العمر أربعة أشهر.

نعمة الإيمان التي وجدت أرضًا طيّبة في قلبه نمت جيّدًا. وما إن بلغ الثالثة عشر من عمره حتى سمع نداء الربّ له، وكأنّه صموئيل جديد، فأخبر كاهن رعيّته الخوري بولس سعادة بذلك، فنصحه أن يتبع ابن عمّه داود المعروف بالأب جورج موراني، في دير مار اليشاع بشرّي– لبنان.

وهكذا كان. فوصل بشّور إلى لبنان، إلى الدير المذكور في ٢ تشرين الأوّل سنة ١٩٤٠، وأعطي له اسم جديد سيحمله طوال العمر: جناديوس.

بعد زمن الإبتداء، أبرز نذوره الأولى في ١٩ أيلول ١٩٤٣، وانتقل إلى مركز الرهبانيّة في بيروت حيث تابع دراسته في المعهد الثانويّ التابع لجامعة القدّيس يوسف للآباء اليسوعيّين، فكان لامعًا في دراسته، وحاز على شهادة في الأدب الفرنسيّ.

وفي ٧ تشرين الأوّل الموافق عيد الشهيدين سركيس وباخوس من سنة ١٩٥٢، أبرز نذوره الإحتفاليّة في ديرهما في عشقوت، وكان ابن خمسة وعشرين ربيعًا.

سافر إلى روما في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٥٤، وعاش ثلاثة سنوات في دير مار أنطونيوس الكبير، وحاز على إجازة في اللاهوت من جامعة القدّيس يوحنّا اللاتران الحبريّة.

خلال وجوده في روما وبالرّغم من حبّه للعذراء وتوقه لعيش القداسة، فقد سمح الربّ أن يمرّ جناديوس بصعوبة أليمة على صعيد الإيمان، وكأنّه دخل في النفق المظلم، قبل أن يرى نور الربّ العظيم، أو كأنّه دخل البوتقة، التي ستساعده وتساعدنا فيما بعد لنتذوّق جمال النعمة التي سكبت على حياته ورهبانيّتنا من خلاله! لكنّ العذراء القدّيسة «الساهرة»، وخلال سنتها المريميّة أبت أن يتعذّب ابنها جناديوس طويلاً، فكان أن نجّته بنعمة مجيدة، يوم عيد ميلادها في ٨ أيلول من سنة ١٩٥٤.

وكتب الأب جناديوس عن هذه الخبرة ما يلي: «أمّا نجاتي هذه فأنا أنسبها للعذراء، وقد جعلتني أحبّها حبًا بنويًا... إنّي أسأل الله أن يهبني، طول عمري، نعمة التبشير بهذه الأمّ الصالحة. إنّهم يصوّرونها نعمة التبشير بهذه الأمّ الصالحة. إنّهم يصوّرونها بمثابة كائن فائق الطبيعة. ولكم يكون من الأفضل أن يصوّروها على بساطتها، وقربها منّا! إنّي مدين لمريم بكلّ تحوّلي. الأزمة النفسيّة التي كنت أعانيها منذ سنوات عديدة تفاقمت خلال السنة المريميّة. وبلغت ذروتها أثناء عطلة الصيف حيث فقدت الإيمان كلّيًا، مدة أسابيع طويلة. وفي الثامن من أيلول، مساء عيد ميلاد العذراء، أخذتني وأنا في الكنيسة، آلام مبرّحة لمجرّد التفكير بالله. كان عقلي يقول لي بوضوح: إنّ الله غير موجود. وفجأة شعرت بقوّة داخليّة طارئة، وللحال رأيتني متبدّلاً... ومنذ ذاك أخذت أتماثل عاجلاً إلى الشفاء الذي صار تامًا في آخر السنة المريميّة، في الثامن من أيلول» (الرسالة ١٣).

في الثاني من نيسان عام ١٩٥٦، قبل الدرجات الصغرى. وفي ٧ تمّوز درجة الشمّاسيّة. وفي ٢٢ كانون الأوّل من السنة ذاتها سيم كاهنًا على يد المطران بطرس جوّاد صفير في كنيسة القدّيس فرنسيس دي باولا قرب ديرنا في روما.

في هذا اليوم، الذي تغمر فيه النعمة حياة الكاهن الجديد، وتأثّرًا بروحانيّة القدّيسة تريزيا الطفل يسوع، أراد الأب جناديوس أن يقدّم ذاته محرقة للحبّ الإلهيّ من أجل اتحاد المسيحيّين: «يا يسوع الراعي الصالح، لقد ارتضت رحمتك اللامتناهية أن تذهب بعيدًا للبحث عن النعجة الضالّة. وهكذا أعدتها بفرح إلى الحظيرة حيث ما زلت تغمرها بملاطفاتك وعنايتك... يا سيّدي، ربّما أنا ذلك الذي اختبر أكثر من غيره حنان قلبك اللامتناهي. لقد عاملتني بلطافة فائقة، أنا الذي أهنتك بشدّة أكثر من مرّة. وعرفت بصبر أمّ كيف تتحمّل نقائصي وتصلحها دائمًا ومن دون أن توجّه لي أبدًا أيّ تأنيب...

أنا أعرف الآن، ولقد اقتنعت أنّك أكثر حنانًا من أفضل الأمّهات. أريد أن أحبّك وأن أجعلك محبوبًا. أحسّ بحاجة إلى أن أعترف بجميلك، وأن أكون ملكًا لك وألاّ أهينك. أريد أن أقضي كلّ حياتي بتمجيد اسمك وترتيل مدائحك، وتخليص النفوس، فلذلك لا أنقطع عن تذكّر رحمتك اللامتناهية بشرقي العزيز حيث قضيت أنت نفسك حياتك المائتة.

أنظر بعين رحمتك وعفوك إلى الكنيسة المنشقّة، إلى روسيّا المكرّسة لقلب أمّك الطاهر، إلى الشرق بأسره. إحم الكنيسة الكاثوليكيّة واحفظها من كلّ هرطقة. ساعدنا على نشر الحقيقة في العالم أجمع وإيصال البشارة الصالحة إلى سائر النفوس، ولتكن بذلك يا سيّدي يسوع، رعيّة واحدة وراعيًا واحدًا.

لأجل هذه النوايا يا يسوعي الحبيب، التي هي أعظم من نفسي القاصرة والضعيفة، أعدك أن أحيا فقط لحبّك. وأجدّد لك هبة ذاتي الكاملة، ولكي تحسن في عينيّ الثالوث الأقدس أقدّمها بواسطة العذراء مريم أمّك القدّيسة.

وهكذا على يدي العذراء الطاهرة النقيّة، أقدّم نفسي ضحيّة قربان لحبّك الرحوم. أنذر لك نذرًا مؤبّدًا بتسليم كياني الكامل لمشيئتك: أكرّس لك نفسي وجسدي، فأصنع ما يرضيك وما يروق لك. أكرّس لك خاصّة حياتي، فتستطيع أن تأخذها عندما يروق لك. أقدّم لك صحّتي، فيمكنك انتزاعها مني متى شئت. أقدّم لك ارادتي وأرجوك أن تأخذها إلى الأبد، إذ لا أريد أن تكون لي إرادة بعد الآن، بل أن أعمل في كلّ شيء إرادتك...

أقدّم لك ذاكرتي وذكائي، فاجعلني ألاّ أفكّر إلاّ بارضائك. أقدّم لك عينيّ وأذنيّ وفمي لكي لا أرى ولا أسمع ولا أقول إلاّ ما يرضيك...

أخيرًا، وخاصّة يا إلهيّ أيّها الثالوث المعبود، أقدّم لك قلبي، فأفض فيه أمواج الحنان اللامتناهي المحفوظة فيك، وهكذا أصبح شهيد حبّك الرحوم. ولتجعلني هذه الشهادة أخيرًا أموت بعد أن تعدّني للظهور أمامك، ولتنطلق نفسي من دون تأخير إلى عناق حبّك السرمديّ يا إلهي...

أريد يا حبيبي لدى كلّ دقّة من دقّات قلبي أن أجدّد لك هذه التقدمة عددًا لامتناهيًا من المرّات إلى أن تهبط الظلال وأستطيع أن أردّد لك حبّي في مواجهة سرمديّة...».

في ١٠ تمّوز ١٩٥٧، انتقل الأب جناديوس إلى فرنسا، ليتابع تحصيله العلميّ في جامعة السوربون والمعهد الكاثوليكيّ. في هذه الأثناء، مارس خدمة رعائيّة إلى أن تولّى مهمّة ناظر في مدرسة بوسّيو للطلاّب الخارجيّين، التابعة للأبرشيّة.

حجّ إلى لورد، وأمام السيّدة العذراء قدّم الرهبانيّة، وكتب للأب العامّ ما يلي: «لقد ذهبت إلى لورد... وهناك استودعت العذراء نفسي واغتنمت الفرصة لأستودعها مرّة أخرى، رهبانيّتي. وأمام المغارة، خلال القدّاس الذي قدّمته لهذه الغاية، ألقيتها بين ذراعيها كما هي، مثل كثير من المرضى الذين يُحمَلون ويوضعون على أقدامها... وفي أعماق قلبي، أفهمتني العذراء أنّها ستكون يومًا ملكة عندنا، وأنّها، رغم شقائنا، ستفجّر في رهبانيّتنا قدرة الله الكلّيّة رحمته...

لقد غادرت لورد وقلبي مفعم ثقة بالله ومملوء بالفرح، لأنّني كنت أشعر أنّ الله يحبّنا ويهتمّ بنا بطريقة خاصّة ويريد أن يمدّ لنا يده بألطف طريقة وأحقّها، أي بتسليمنا لأمّه...».

وفي ليزيو حيث هي شفيعته المحبوبة القدّيسة تريزيا الطفل يسوع، أقام رياضته السنويّة من ١١ إلى ١٥ تشرين الأوّل من سنة ١٩٥٧. هناك، ومن دون شكّ، عاش خبرة روحيّة عميقة، بقربٍ من تشرّب من روحانيّتها كما تتشرّب الإسفنجةُ الماء.

عاد إلى لبنان في ٢١ تمّوز ١٩٥٨، وعُيّن مديرًا للإخوة الدارسين في دير سيّدة اللويزة.

وعندما أراد أن يفرح بوليمة عرس أخيه البكر وجيه، سقط شهيدًا في ٢٤ كانون الثاني سنة ١٩٥٩، فأصبح شريكًا في وليمة عرس الحمل.

بعضٌ من روحانيّته

يقول الأب جناديوس: «إنّ الحياة الروحيّة تبدأ بالتضحية والإماتة، فهي تبدأ حينما يبدأ الإنسان بالسير على إرادته وقلبه، وتنجح بقدر ما يسير الانسان على إرادته وقلبه، ويصل الإنسان إلى الكمال يوم يَجدُ في السير على الإرادة والقلب، لذّة ليس بعدها لذّة» (الرسالة ٦١).

ويتابع قائلاً: «الحياة الروحيّة ليست معقّدة. فطريق القداسة إنّما هو المحبّة، طريق المحبّة. وشرائع المحبّة يعرفها جميع الناس، لأنّ جميع الناس يعرفون من هي الأمّ. والله أمٌ حقيقيّة من دون أيّة مبالغة. إنّها حقيقة علّمتها تريزيا الطفل يسوع وخبرتها أنا بنفسي، وإليك ما تقوله تريزيا الطفل يسوع في أحد أناشيدها: «أنت يا من عرف أن يخلق قلوب الأمّهات، أجدُ فيك أحسن الآباء...».

ثقة الأب جناديوس بيسوع

«ما أسعدنا نحن من اطلّعنا على أسرار قلب يسوع الفائق الحنان! فلنذهب إليه ولنمت معه إن اقتضى الأمر، فإنّه ليس على الحبّ شيء عسير.

إن كانت رغبتك بالقداسة هي بيسوع فسر وافرح، لأنّ يسوع لا يضع في قلوبنا أشواقًا باطلة... إنّ طريق كلّ نفس نحو القداسة هي سرٌ من أسرار قلب يسوع، لن يكشف عنه إلاّ في السماء.

ودليلنا إلى الله ليس عقلنا، بل قلبنا. هو ثقتنا العمياء بيسوع. فلنرغب إذًا في القداسة ولنثق أنّنا سنصل إليها رغم ضعفنا ورغم نقائصنا.

وغاية يسوع من جعله النور والظلمة يتقاسمان حياتنا الروحيّة بهذا الشكل، هي ولا شكّ أوّلاً رغبته في أن يرانا مستسلمين إليه استسلامًا بنويًا، واثقين به تمام الثقة. فحيثما تكون الثقة هناك يكون الحبّ الحقيقيّ. الثقة بالله ليست موهبة تلقى في القلب دفعة واحدة، بل تكتسب بالاختبار، وتكبر مع السنين. فمنذ استسلام النفس ليسوع حتى آخر لحظة من حياتها الفانية يتعاقب عليها النور والظلمة... وتزداد الثقة إلى أن تصبح النفس تصرخ في كلّ لحظة نحو يسوع: «أنت وحدك الذي إذا ما تركتك، عوضًا من أنتغضب وتنتقم منّي، تذهب بكلّ حبّ وتبحث عنّي، أنت وحدك أمين، يا يسوع، وأمانتكَ مدى الدهر». وهكذا تختبر النفس أمانة يسوع. فلا تعود تضطرب إذا ما غاب عنها» (الرسالة ٢٣).

«لا أريد منذ الآن أن أحيا إلاّ بالثقة؛ قد أراحني يسوع وأفهمني أنّه لا يطلب إلاّ الحبّ وأنّ جوهر الحبّ الثقة بالمحبوب: ثقة بحبّه، ثقة بمعرفته، ثقة بمقدرته. يسوع يتمّم رغائبنا أكثر ممّا نتصوّر وبعكس ما نتصوّر، وليس لنا إلاّ الإستسلام» (الرسالة ١٨).

«فقلوب البشر في يد الله وما أقوى الصلاة والثقة بالله، فإنّهما يرغمان يسوع على تحريك القلوب وغمرها بنعمته وأنواره...» (الرسالة ٢٨).

محبّة العذراء

إنّ وعي الأب جناديوس لنعمة العماد، جعلته يكتشف حقًا أمومة مريم، إذ إنّنا بهذا السرّ نصبح أعضاء حيّة في جسد المسيح السريّ، وهذا ما يجعل مريم أمّ يسوع، أمًا لكلّ منّا. وهذا ما عبّر عنه الأب جناديوس بهذه الكلمات: «فيسوع ولا شكّ قد قال لمريم يوم ولدت «هذا ابنك»، وخلق فيها المحبّة الوالديّة، ثم إنّ عاطفة البنوّة لا تغلط. هي غريزة إلهيّة تدلّ على الحقيقة؛ إنّ ولدًا لا يمكنه أن يحبّ امرأة غريبة محبّة بنويّة، والطفل يندفع اندفاعًا غريزيًا نحو أمّه.

أشعر أحيانًا أنّ قلبي قد طفح بالحبّ لمريم، وأشعر أنّ يسوع لم يكشف لي كلّ محبّة العذراء لي ولإخوتي، لأنّني أشعر أنّ القلب في هذه الحياة ضيّقٌ لا يسع، فلا بُدّ من أن يتلاشى الجسم ويتّسع القلب، كي نقدر أن نقابل محبّة مريم الوالديّة بمحبّتنا البنويّة... وبينما كنت أتأمّل في كيف أنّ العذراء أمّي وأمّ إخوتي حقيقة، وأنّ يسوع قد وضع في قلبها الحبّ الوالدي نحونا، وأنّه في هذه الحياة يرسم في أنفسنا صورتها فنصبح نحمل في نفسنا ملامحها الحلوة، كم مرّة حدث لي أن صرخت من شدّة الفرح «إنّ أمّي هي محبّة يسوع لي، هي هديّة حبّ من يسوع». فأنا أحبّها لأنّها أمّي، وأنا أحبّها لأنّها من يسوع. فعرفت بالاختبار أنّ محبتي لمريم تَزيدني حبًا بيسوع.

صفحة بخط يد الأب جناديوس

بقدر تعلّقنا بالهديّة يزداد حبّنا للذي أهداها. اليوم وإلى الأبد سأبشّر بحبّها، لأنّها أمّنا. أعزائي أمّنا هي لنا. إن كان الله أعطانا إيّاها، فمن يمكنه أن ينتزعها منّا... إنّ الصلاة الوحيدة التي أردّدها منذ بضعة أشهر هي: «يا يسوع اطبع فيّ صورة أمّي واطبع فيّ صورتك...» (الرسالة ٢١).

ولادة النفوس

كتب الأب جناديوس في (الرسالة ١٥) «أودّ أن أفضي بحقيقة اكتشفتها، في الكتاب المقدّس، وكان من شأنها أنّها وجّهت بشكل نهائيّ مسيرتي نحو الغير... وطرح سؤالاً وحاول الإجابة عنه، فكتب: «كيف نلد النفوس؟

إنّنا باتحادنا بالمسيح نهب النفوس الحياة الروحيّة. لأنّ الإتحاد بالمسيح مخصب دائمًا. ففي أشعيا ٥٤ يقول الله للعذراء: «لا تخافي، لأنّ عروسك هو خالقك». ويقول يسوع المسيح الشيء عينه في مَثل الكرمة: «تأتون بالثمار بمقدار ما تتّحدون بي». وتقول تريزيا الطفل يسوع: «أن أصبح أمًا للنفوس باتحادي بك». وتبتهل بحبّ حارّ: «تعطّف واجعلني اتّحد بك، أيّها الكرمة المقدّسة، فيعطيك غصني الواهي ثمره، ويمكنني منذ اليوم أن أقدّم لك عنقودًا ذهبيًا يا ربّ». أليست سارة تقول لإبراهيم: «هبني إبنًا وإلاّ أموت!» إنّ الله إذًا وهبنا القدرة على إعطاء الحياة للنفوس. فيا له من شرف! ومن ثمّ يتوقّف علينا وحدنا أمر إعطاء الحياة للعديد من النفوس التي قد تصير تحبّ الله وتحبّنا إلى الأبد. ومن يدري؟ فربّما كان هناك الآن عدد غفير من النفوس التي أعطيناها الحياة الروحيّة تتلقّى غذاءها اليوميّ من صلواتنا وتضحياتنا!... متى كنّا أمّهات لا نفكّر بأنفسنا، بل نعمل لأجل أبنائنا، ونتألّم من أجل أبنائنا، ونصلّي من أجل أبنائنا، ونبذل حياتنا من أجلهم... فلنتّحد بالمسيح، مبدأ إخصابنا الروحيّ، ولنقل له صباحًا ومساءً مع القدّيسة تريزيا الطفل يسوع: «إجذبني إليك، لأنّك بذلك تجذب إليك جميع أحبّائي».

إنّ يسوع كي يخلّص نفسًا، بحاجة أن يتّحد بنفس أخرى. النفس كي تلد للحياة الأبديّة بحاجة إلى أمّ. يسوع مستعدّ دائمًا. هو أبٌ لجميع النفوس، أمّا الأمهات فقليلات جدًا! ويلٌ للنفوس العاقرة التي خلقها المخلّص لكي تكون أمًا، فذهبت ودفنت هذه القوّة السريّة واحتقرتها... (الرسالة ٢١).

ختامًا، إنّ الأب جناديوس موراني، المريميّ، هو وجه مضيء في رهبانيّتنا وفي الكنيسة، وهو بمثابة لؤلؤة ثمينة، وكنز فريد؛ والطوبى للذي يكتشفه، ويستفيد من جماله وغنى رسالته.

لنصلِّ معًا: «يا يسوع، يا من أنت المحبّة، وقد علّمتنا إيّاها ووعدتَ بأنّ «من يستقرُّ فيها، يستقرُّ في الله والله فيه»،
تعطّف ومجّد عبدك الأب جناديوس موراني الذي كانت حياته القصيرة أنشودة هذا الحبّ، وقد مات وهو يهتف: «يا عدرا!».

بهذه الكلمة، ودّع العالم، وهو ينظر إلى السماء. دوّن اسمه في عداد القدّيسين، وهب المؤمنين الذين يقتدون بفضائله، أن ينالوا بشفاعته النِّعم الغزيرة.

أنعم علينا بأن نرى الكنيسة المقدّسة تكرّم ذكراه وفضائله، وتقيمُه مثالاً يُقتدى به، شفيعًا للفرج من الضيق والتجربة، ومشجّعًا للدعوات المقدّسة، فيساعدنا جميعًا ونبلغ بمعونته مقرّ السعادة الأبديّة.

آمين.

حديقة الأخبار

د. جوزيف الياس

تمهيد

إذا كان القرن التاسع عشر قد امتاز بأنّه عصر الثورة الصناعيّة ويقظة القوميّات الغربيّة، فهو على الصعيد الإعلاميّ عصر ازدهار الصحافة في الغرب؛ حتّى ليمكن القول إنّ نصفه الثاني قد شهد طفرة في إصدار الصحف التي باتت تُعدّ في بعض العواصم بالمئات، وبالآلاف في عواصم الغرب مجتمعة. وبالمقابل، لم يكن مقدّرًا لهذا القرن أن يشهد أكثر من نشأة الصحافة العربيّة، التي جاءت متأخّرة عن رصيفتها الغربيّة نحوًا من ثلاثة قرون. وإذا كانت «الوقائع المصريّة» التي أصدرها الخديوي سنة ١٨٢٨ أوّل صحيفة رسميّة في البلاد العربيّة، و«مرآة الأحوال» التي أصدرها رزق الله حسّون في الآستانة سنة ١٨٥٥ أوّل صحيفة غير رسميّة تصدر خارج البلاد العربيّة، فإنّ «حديقة الأخبار» تبقى، في إجماع الباحثين وأهل الاختصاص، أمّ الصحف العربيّة غير الرسميّة في لبنان والعالم العربيّ قاطبة. وهي التي دعوناها في مناسبة ما، عجوزًا مهاجرة عادت بعد قرن ونيّف، لتروي لنا حكايات السنين. لقد انتظرناها عشرًا، فأتانا منها عشر، وما إن حلّت على الرحب والسعة في مكتبة يافث، حتّى كنّا أوّل من يسلّم عليها صفحة صفحة.(١)

أولى أو ثالثة؟

قال طرازي (شيخ مؤرّخي الصحافة) إنّ باكورة المجلّات العربيّة وأقدمها قاطبة، هي «مجموع فوائد»(٢) التي أصدرها المرسلون الأميركان سنة ١٨٥١ في بيروت، تليها «أعمال الجمعيّة السوريّة»(٣) التي أنشأتها هذه الجمعيّة سنة ١٨٥٢. لقد أعلن طرازي ما أعلن، معتمدًا على ما استقصى من معلومات، وما لمّ من أشتات الصحف، ومتوكّئًا على مقالات من سبقه من مؤرّخي الصحافة، ولاسيّما مقالات جرجي زيدان في مجلّة «الهلال»(٤). وانطلاقًا من مقولة طرازي هذه، ردّد الباحثون المتأخّرون والتصنيف نفسه، فعدّوا «حديقة الأخبار» ثالثة الدوريّات اللبنانيّة؛ وآخر ما قرأناه في هذا المعنى، كان في أحد أعداد «النهار» سنة ١٩٨٤(٥). لكنّ، أيمكن أن نعدّ «مجموع فوائد» صحيفة دوريّة، في حين لم يكن يصدر منها غير جزء واحد في العام؟ لقد اكتشفنا مؤخّرًا الأجزاء الستّة من «مجموع فوائد» ولاحظنا أنّها صدرت من عام ١٨٥١ حتّى عام ١٨٥٦. فإنْ صحّ زعم طرازي أنّ أجزاء ثلاثة منها صدرت سنة ١٨٥٥، فهي إذ ذاك مجلّة فصليّة(٦). وما مثل «مجموع فوائد» إلاّ كمثل «أعمال الجمعيّة السوريّة» التي لم يصدر منها غير جزئها الأوّل(٧)، فعُدّ مطبوعة حوليّة يتيمة. وفي زعمنا أنّ هذه وتلك لا تستحقّان حمل تسمية الصحيفة أو المجلّة، وبذلك تكون الحديقة أوّل مطبوعة تحمل صفة الدوريّة الحقّة في لبنان والمشرق العربيّ. وقصّتنا مع الحديقة قصّة طويلة، فقبل أن يصدر فهرس الدوريّات العربيّة، الموجودة في مكتبات المملكة المتحدة(٨)، كتبنا، سنة ١٩٧٣، إلى المكتبة الوطنيّة في إستانبول، والمكتبة الوطنيّة في باريس، نسألهما عن «حديقة الأخبار»، فتلقّينا جوابًا بالنفي. بيد أنّ أمين المكتبة الوطنيّة في باريس، لفت انتباهنا في ردّه إلى المكتبات البريطانيّة، ونصحنا بالسؤال عنها هناك. ولم يمض وقت طويل، حتّى وقعنا على فهرس الدوريّات العربيّة، الذي صدر عن المكتبة الوطنيّة بباريس(٩)، وفيه دلالة واضحة على أنّ الحديقة موجودة في المكتبة البودليانيّة بأكسفورد، وفي مكتبة اللغات الشرقيّة والأفريقيّة بجامعة لندن، فضلاً عمّا بلغنا بالسماع من أنّ بعضًا منها في مكتبة المتحف البريطانيّ. وفي السنوات التالية، سعينا، في خطّ متواز مع مكتبة الجامعة الأميركيّة، إلى الحصول على نسخة مصوّرة من مجموعة المكتبة البودليانيّة، بيد أنّ الجامعة كانت أسبق إلى استقدامها، وهي السبّاقة دومًا إلى خدمة العلم.

مشروع صحيفة

يروي لنا طرازي، في «تاريخ الصحافة العربيّة»، أنّ ثمّة وثيقة خطيّة عُثر عليها في بيت ميخائيل مدوّر(١٠) في بيروت؛ وهي مذيّلة بأسماء عدد من الأشخاص، الذين بادروا إلى الاشتراك المسبق في صحيفة كانت ستصدر قريبًا، تحت عنوان «الفجر المنير». وقد جاء فيها حرفيًّا: «إنّه سيُطبع في مدينة بيروت بمطبعة خصوصيّة مجموع حوادث عربيّ العبارة يحتوي على حوادث هذه البلاد وعلى الحوادث الخارجيّة مولّفة ومترجمة من أحسن وأعظم جرنالات الأوربا وعلى فوائد علميّة وأحوال متجريّة ليكون نافعًا سائر طبقات الناس. وذلك بهمّة جمعيّة مولّفة من أحذق وأنبه رجال البلاد المولّفين والمترجمين والمصحّحين الذين ستشهر أسماؤهم فيما بعد لاسيّما جناب عمر أفندي الأنسي الحسيني والشيخ ناصيف اليازجي. وابتداء العمل يكون حين ورود الفرمان العالي بعد أخذ الأسماء اللازمة لهذه العمليّة. فنلتمس من كلّ مهذّب يرغب نفع البلاد أن يشرّفنا بوضع اسمه في هذه القائمة. وثمن هذا المجموع مايّة وعشرون غرشًا بالعام تُدفع عند

استلام أوّل عدد. وهو يُطبع في كلّ أسبوع تحت إدارة كاتبه خليل الخوري واسمه الفجر المنير». (١١) ونحن لا نستطيع الجزم في صحّة هذه الوثيقة لسببين، أوّلهما أنّ خليل الخوري (١٢) لم يستعمل في البداية كلمة «عدد» عند الإشارة إلى أعداد صحيفته، بل كان يستعمل «الصحيفة» بمعنى العدد، فيقول «الصحيفة الأولى» و«الصحيفة الثانية». والسبب الثاني هو أنّها تناقض إلى حدّ ما ما جاء في البيان التمهيديّ الذي وزّعه خليل الخوري في أيلول ١٨٥٧، ونشرته إذ ذاك صحف غربيّة كما سنرى.

العدد الأوّل

صدر العدد الأوّل من «حديقة الأخبار» يوم الجمعة في الأوّل من كانون الثاني ١٨٥٨ (١٦ جمادى الأولى ١٢٧٤ هـ)، ويقع في أربع صفحات من القطع المتوسّط في كلّ منها عمودان. وقد أحيط اسم الصحيفة بإكليل دائريّ، قوامه غصنان مزهران يلتقيان في أعلاهما على نجمة خماسيّة، وتحت قاعدة الإكليل عُرّفت الصحيفة بأنّها «جرنال مدنيّ علميّ متجريّ تاريخيّ». وإلى يمين العنوان جاء أنّ «الجرنال» يُطبع في «مطبعته الخاصّة المسمّاة بالمطبعة السوريّة»، وأنّ ثمنه عن عام واحد «في بيروت وجبل لبنان ١٢٠ غرشًا»، وفي «الممالك المحروسة ١٤٤ غرشًا»، أمّا أجرة الإعلان للسطر الواحد فهي «خمسة غروش». وإلى يسار العنوان مكاتب الاشتراك، وهي: في بيروت: مكتب الجرنال. في دمشق: الخواجات بيطار وحيدر وشركاهم والخواجات نصر إخوان. في حلب: الخواجه شكر الله نصر الله خوري. في بغداد: الخواجه ميخائيل سكران. في الإسكندريّة: الخواجا فرنسيس صالحاني. في مصر: الخواجات نوفل وطراد وشركاهم.

الافتتاحيّة

أبرز ما في العدد الأوّل عنوانان رئيسيّان هما: الحوادث الداخليّة (١٣)، والحوادث الخارجيّة (١٤). ولقد كادت الأولى تقتصر على افتتاحيّة مطوّلة شغلت الصفحة الأولى ونصف الثانية، وتخلّلتها قصيدة ميميّة في واحد وثلاثين بيتًا. وممّا جاء في صدر الافتتاحيّة: «نحمدك يا من أبدعت خليقتنا بحكمتك الإلهيّة، وأملأت من فضيلتك كلّما أنشأته عنايتك الأزليّة... سبحانك يا من أرسلت النور من نورك الأزليّ فاستضاءت الأبصار، وقذفت الشمس إلى مكان عرفت ذاتها به مليكة عالم الأنوار... وأقمت لكلّ قوم ملوكًا يحكمون بينهم بالعدل والقول الجميل، وسلّمت إليهم زمام العالم ليسري على استقامة السبيل». وهنا ينتقل إلى مديح السلطان قائلاً: «كما نصبت سرير السلطنة العثمانيّة التي أضاء برج خلافتها العليّة بنور الكوكب اللامع المتلالي الجالس على سرير سلطنته العالي، سلطاننا العثمانيّ المعظّم مليكنا الخاقان المفخّم السلطان عبد المجيد دام ملكه على ممرّ الزمان، قد اتّخذ العدل سبيلاً والعلا مقامًا، وأجرى المراحم سلسبيلاً والأمن سلامًا... وبما أنّ رأفته العليّة كانت تميل لكلّ ما فيه تقدّم تبعثها الحميّة، فقد صدرت إرادته السنيّة بإنشاء وطبع هذه الصحيفة العربيّة، لتعدّ في أيّامه السعيدة من جملة الأفكار الجديدة حاوية ما يحلّ من المآثر المفيدة، وقد تسمّت بحديقة الأخبار أملاً أن تحوي ما تتنزّه به الأفكار».

وحين وجد المحرّر نفسه مقصّرًا، وقد أعياه المديح نثرًا، قال شعرًا:

فادعوا بتأييد ذا الخاقان سيّدنا
عبد المجيد الذي يُحما به النسمُ
ذاك المليكُ الذي فاضت مكارمُه
على العباد ففاضت حولها النعمُ
عصابةُ الملك تزهو فوق جبهته
وزينةُ الخَلْق بالأنوار تنتظمُ
في كفّه صولجانُ الملك مرتفعٌ
على الأنام يقيمُ الحقّ فوقهمُ
يا أيّها الملكُ المسعودُ طالعُه
يا من تعالت بك الأوصافُ والهممُ
يا جيرةَ الشرق هُبّوا من رقادكم
إنّ العلومَ لها في قطركم ذممُ
راقت كؤوسُ الهنا بالعدل فارتشفوا
وذي حديقةُ هذا العصر فاغتنموا

بعد القصيدة عاد المحرّر يكمل افتتاحيّته، فأشار إلى انتشار «صحايف الأخبار» في البلدان التي بلغت مرتبة عليا من التمدّن، وتحدّث عن منحه «الرخصة السنيّة» بإصدار الصحيفة. وهي مناسبة للعودة إلى مدح «الذات الشاهانيّة» ومشير «إيالة صيدا ذي الدولة والمجد محمّد خورشيد باشا، ودفتردار الإيالة... مصطفى عارف أفندي» (١٥). وثمّة كلام على إنشاء «المطبعة السوريّة»، التي تتركّب لنا من ألسنتها المعدنيّة «عبارات هذا الجرنال الذي يتوزّع في كلّ أسبوع مرّة، حاويًا بقدر الإمكان كلّ ما يختصّ بالفوايد الإنسانيّة من أيّ نوع. فهو جرنال عثمانيّ ناشر ألوية الحمد والثناء لمآثر هذه الدولة السعيدة، لا يطبع به شيء ممّا يغاير الآداب الإنسانيّة، متباعدًا عن كلّ مَسْيَلة دينيّة، متجنّبًا بقدر الإمكان المسايل الشخصيّة...». ولم

لا يطبع به شيء ممّا يغاير الآداب الإنسانيّة، متباعدًا عن كلّ مَسْيَلة دينيّة، متجنّبًا بقدر الإمكان المسايل الشخصيّة...». ولم ينسَ المحرّر أن يثني على شريكه ميخائيل المدوّر الذي وفّر له الدعم الماديّ، وكانت له يد طولى في إصدار الحديقة. وفي الختام، يخاطب «أهالي البلاد» و«فتيان الوطن»، راجيًا أن تلعب في رؤوسهم النخوة الأدبيّة، فيقبلوا على اكتساب المعارف والفنون.

في الدوريّة والتعريف

بدأت الحديقة صحيفة أسبوعيّة، واستمرّت هكذا، إن لم نقل حتّى آخر أيّامها (يصعب علينا الجزم في ذلك)، فعلى الأقلّ في ما بين يدينا من مجموعتها، أي حتّى أواخر الثمانينيّات. وقد صدر عددها الأوّل يوم الجمعة، لكن ما لبثت أن استقرّت، في عامها الأوّل، على يوم السبت من كلّ أسبوع. وفي العدد ٨١ الصادر في ٢١ تمّوز ١٨٥٩، بدأت الحديقة تصدر يوم الخميس، وقد علّل المحرّر ذلك، بإعلان في الصفحة الأولى، جاء فيها أنّ «الفابور (البابور) الفرنساويّ» يصل إلى بيروت يوم الخميس، فيُؤخَذ البريد، وتُنشَر الأخبار فورًا في الصحيفة، ليحملها «الفابور» في طريقه، ويوزّعها على طول الساحل الجنوبيّ في فلسطين ومصر. وتستمرّ الصحيفة على هذا المنوال، إلى أن صدر العدد ٤٠٢ في ١٧ نيسان ١٨٦٦، فإذا به يصدر يوم الثلاثاء، وفي صدر صفحته الأولى إعلان علّل فيه المحرّر الغرض من هذا التغيير، وهو أن تكون الصحيفة في أيدي القرّاء يوم الخميس مع بداية عطلة الأسبوع. لكنّنا نرى الصحيفة عام ١٨٦٩، وقد عادت تصدر يوم الخميس، وهكذا ألفيناها في الفترة الممتدّة بين عامَي ١٨٨١ و١٨٨٨. ومنذ صدور العدد الأوّل، عُرّفت الحديقة بأنّها «جرنال مدنيّ علميّ متجريّ تاريخيّ»، وما زالت تحمل هذا التعريف حتّى عام ١٨٦١، حين حلّ محلّه التعريف التالي «جرنال سياسيّ أدبيّ متجريّ». وفي سنة ١٨٦٩، نلاحظ أنّ التعريف السابق قد زال نهائيًا، وحلّ محلّه، تحت اسم الصحيفة مباشرة، تعبير «صحيفة سورية ولبنان».

في مجموعة المكتبة البودليانيّة، التي تبلغ عشر سنوات وَنيّفًا، نقع، بضع مرّات، على فترات انقطاع وجيزة، حيث يتأخّر صدور العدد أسبوعًا لا أكثر، فيصبح نصف شهريّ. بيد أنّنا نقع على فترتي انقطاع، تبلغ كلّ منهما بضعة أشهر: أولاهما كانت في صيف ١٨٦٠، بسبب الأحداث المشؤومة في الجبل، وامتداد ذيولها إلى بيروت. فعلى أثر صدور العدد ١٣١ في ١٢ تمّوز ١٨٦٠، توقّفت الحديقة وعادت إلى الصدور في ٢٥ تشرين الأوّل ١٨٦٠ بالعدد ١٣٢. وفي افتتاح هذا العدد، أعلن المحرّر أنّ التوقّف كان بسبب سفره إلى

مصر، ولا نرى الأمر يعدو ما كنّا قد ذكرنا. أمّا فترة الانقطاع الثانية فكانت في صيف عام ١٨٦٥، وسببها انتشار وباء الطاعون أو الهواء الأصفر في بيروت وجبل لبنان. وهكذا توقّفت الحديقة بعد العدد ٣٧٦ الصادر في ٢٩ حزيران ١٩٦٥، وعادت في ٢٦ تشرين الأوّل ١٨٦٥ بالعدد ٣٧٧.

في شروط الاشتراك والإعلان

عرضنا، في كلامنا على العدد الأوّل، لشروط الاشتراك والإعلان في الحديقة، ولأسماء الوكلاء أو المندوبين، لذا نرانا في غنى عن الإعادة. وقد استمرّت هذه الشروط على حالها في العامَين الأوّلين، ثمّ طرأ تعديل أوّل سنة ١٨٦٠ على أسماء الوكلاء المعتمدين، فأضيف اسم مندوب جديد للصحيفة في باريس، ثمّ تلاه بعد فترة اسم مندوب للصحيفة في لندن. وفي العدد ١٩٣، الصادر في ٢٦ كانون الأوّل ١٨٦١، نقع على إعلان نُشر في الصفحة الأولى من الحديقة، وفيه يشكو المحرّر ازدياد الأعباء الماديّة، بسبب انتشار الأخبار البرقيّة، واضطراب أسعار النقد المتداول. وبذلك تغدو شروط الاشتراك السنويّ، اعتبارًا من مطلع عام ١٨٦٢، على الشكل التالي: خمسة ريالات فرنسيّة في بيروت وجبل لبنان والموصل وبغداد، ستّة ريالات في دمشق وحلب والآستانة العليّة ومصر وجميع الشطوط البحريّة، سبعة ريالات في غزّة ونابلس والقدس الشريف وحماة وحمص، ثمانية ريالات في أدنة (أضنة) وأوروبا وبلاد الغرب والهند والصين (الريال الفرنسيّ يساوي خمسة فرنكات، والفرنك يساوي ٢٤ قرشًا). أمّا أجرة الإعلان فهي بشلك للسطر الواحد في الصفحة الأخيرة، وبشلكان في الصفحات الأخرى. وما زالت هذه حال الصحيفة في الاشتراك والإعلان حتّى سنة ١٨٦٣، حين أُعيد النظر في شروط الاشتراك، فحُدّد بالقروش، وغدا على الشكل التالي: ١٢٠ قرشًا في بيروت ولبنان والموصل وبغداد، ١٤٤ قرشًا في دمشق وحلب والآستانة وجميع الشطوط البحريّة، ١٦٨ قرشًا في القدس ونابلس وحماة وحمص، ١٩٢ قرشًا في الأقاليم الأخرى. أمّا مكاتب الوكلاء والمعتمدين، فغاب عنها مكتبا باريس ولندن، واقتصرت على دمشق وحلب والآستانة وبغداد والقاهرة والإسكندريّة. وتستمرّ هذه الشروط نفسها حتّى سنة ١٨٦٨، مع تعديلات طفيفة تطرأ بين الحين والآخر. وفي سنة ١٨٦٩، غدا اشتراك الحديقة السنويّ في بيروت وجبل لبنان مئة قرش، تضاف إليها أجرة البريد إلى المناطق الأخرى، وغدت أجرة الإعلان للسطر الواحد خمسة قروش في الصفحة الأخيرة، وعشرين قرشًا في الصفحات الأخرى. أمّا مكاتب الاشتراك والتوزيع، فاقتصرت- فضلاً عن بيروت- على دمشق الإسكندريّة. وتواكب الصحيفة حتّى الثمانينيّات، لترى أنّ شروط الاشتراك والإعلان، ما زالت كما كانت سنة ١٨٦٩، إنّما زيد على مكاتب الوكلاء مكتب «صرافيم أفندي» في الآستانة، ومكتب «يوسف شيت» في القاهرة.

في اللغة

بدأت الحديقة تصدر منذ نشأتها باللغة العربيّة وحدها، وقبل أن تتحوّل إلى صحيفة ثنائيّة اللغة، كانت جريدة «سورية» الرسميّة قد صدرت بالعربيّة والتركيّة (١٨٦٦)، وجريدة «لبنان» الرسميّة قد صدرت بالعربيّة والفرنسيّة (١٨٦٧). وهكذا استمرّت «حديقة الأخبار» تصدر إحدى عشرة سنة باللغة العربيّة، لكنّنا نراها سنة ١٨٦٩، قد تحوّلت إلى صحيفة ناطقة بالعربيّة والفرنسيّة(١٦)، ولكلّ منهما صفحتان. ولسنا نعلم شيئًا من هذا القبيل في السبعينيّات، فمجموعتها مفقودة، والموضوعيّة تقتضينا عدم الجزم في أمر كهذا. وحين نقف على مجموعة الصحيفة بين سنتي ١٨٨١ و١٨٨٨، نجد أنّها ما زالت تصدر باللغتين معًا، وغالبًا ما ترى القسم الفرنسيّ مترجمًا عن قسمها العربيّ.

في توزّع الموادّ

أبرز موادّ الحديقة وأوفرها حظًا، هي الخلاصة السياسيّة، التي تطالعنا في الصفحة الأولى، وقد تمتدّ حتّى الصفحة الثانية. والخلاصة هذه هي في السياسة الدوليّة دائمًا، ولا تغيب إلاّ في المناسبات، كأن يحلّ محلّها فرمان سلطانيّ، أو احتفاء بمناسبة رسميّة، كعيد الجلوس على العرش، أو ذكرى المولد السلطانيّ. وبعد الخلاصة السياسيّة، يطالعك عنوان ثان هو «الحوادث الداخليّة»، وقد يبدأ في الصفحة الأولى، لكنّه يشغل غالبًا الصفحة الثانية، ولا يقتصر على أخبار بيروت أو الولاية فحسب، بل يغطّي كلّ أجزاء السلطنة. أمّا العنوان الثالث، فهو «الحوادث الخارجيّة»، وموقعه الصفحة الثانية أو الثالثة، ويشمل معظم الأخبار الدوليّة. ومن ثَمّ، هناك أخبار «المتجر»، فالإعلان، وهما في الصفحة الرابعة. وفي سنة ١٨٦١، بدأ عنوان «الحوادث الخارجيّة» يختفي تدريجًا، ليحلّ محلّه عنوان جديد هو «نبذ مختلفة». ومنذ ١٨٨١، نلاحظ أنّ القسم العربيّ في الحديقة، بات يبدأ بعنوان «رسائل تلغرافيّة»، تليها «الحوادث الداخليّة»، ثمّ مقالة موضوعة أو مترجمة، أو رسالة من أحد المشتركين، وهي أشبه بالمقالة، وأخيرًا الإعلانات.

موضوعاتها

ندع جانبًا الأخبار الداخليّة والخارجيّة والإعلان، لنتوقّف قليلاً عند الخلاصة السياسيّة التي ترد دائمًا في الصفحة الأولى، فهي أشبه بالمقالة الافتتاحيّة، وموضوعها السياسة الدوليّة غالبًا. أمّا المقالات التي تعالج السياسة المحليّة والاجتماع والتربية والاقتصاد، فهي قليلة أوّلاً، وموقعها في الصفحة الثانية أو الثالثة، وهي محاولات أوّليّة أبعد ما تكون عن فنّ المقال. وكثيرًا ما يختلط الرأي بالخبر، فيلتبس الأمر عليك، وتتساءل أأنت أمام مقالة أو خبر مطوّل؟

أمّا موادّها الفكريّة، فموزّعة بين موضوعات أدبيّة هي الطاغية، وموضوعات علميّة هي النادرة:

١. الأدبيّات: الشعر في الحديقة كثير، وقد يفاجئك أحيانًا في الصفحة الأولى، ومعظمه لصاحب الجريدة خليل الخوري، والقسط الأوفر ممّا نظمه خليل الخوري في هذه المرحلة، قيل في فؤاد باشا ناظر الخارجيّة العثمانيّة. وهناك الكتب والروايات، التي كانت تنشر في حلقات مسلسلة في الصفحة الرابعة، وفي الثالثة أحيانًا، ونذكر منها ما يلي:

- **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين للشيخ شهاب الدين المقدسي الشافعي** (سنة ١٨٥٨).
- **قصّة أصحاب الكهف** (سنة ١٨٥٨).
- **رواية البرّاق بن روحان** (سنة ١٨٥٨).
- **رواية الجرجسين** (سنة ١٨٥٩).
- **رواية المركيز دي فونتانج** (١٨٥٩).
- **رواية بولينه موليان** (سنة ١٨٥٩).
- **رواية «وي إذن لست بإفرنجي»** (سنة ١٨٥٩).
- **مواقع الأفلاك في وقايع تليماك** (١٨٦١).

وبعض الروايات التي نُشرت سنة ١٨٥٩، استمرّت حتّى السنة التالية. أمّا الرواية الأخيرة (**مواقع الأفلاك...**) فقد رأيناها مستمرّة عدّة سنوات. وفي سنتَي ١٨٦٤ و١٨٦٥، تقع على تراجم لعدد من الكتّاب

والشعراء العرب (مثلاً: الحطيئة، مجنون ليلى، الحريري).

ب. العلميّات: وهي المادّة الأقلّ على صفحات «حديقة الأخبار»، فقد نشرت الصحيفة، سنة ١٨٥٨، بضع مقالات في زراعة القطن، ثمّ نشرت سنة ١٨٦٣ مقالات أخرى في الموضوع نفسه، وفي تربية دودة القزّ. ومن وقت إلى آخر، تطالعك مقالات علميّة متفرّقة، أبرزها في المواضيع التالية: الفلك والكواكب (١٨٥٨ و١٨٦٢)، الكهربائيّة والصواعق (١٨٥٨ و١٨٦٢)، البراكين (١٨٦٦)، الأمراض والأوبئة (١٩٦٥).

سياستها

نسب بعضهم إلى الحديقة أنّها كانت في وقت من الأوقات صحيفة رسميّة، وقال آخرون إنّها «نصف رسميّة» أو شبه رسميّة، تنطق باسم المتصرّف تارة، وباسم الوالي طورًا. والرأي الأخير أقرب إلى الصحّة، فهي كالصحيفة شبه الرسميّة في أيّامنا هذه. ولقد رأيناها دومًا عثمانيّة الهوى ولسان حال السلطة الحاكمة، من دون أن تكون صحيفة نصوص بالمعنى الحصريّ الصرف. فهي في سنتَي ١٨٦٠ و١٨٦١، لسان حال الوزير فؤاد باشا، إبّان تنقّله بين دمشق وبيروت لمعالجة ذيول الأحداث المؤلمة. لذا أخذت جانب الحذر والحرص الشديد عند الكلام على مذابح ١٨٦٠، فجاء ما نشرته عن الأحداث متأخّرًا، واعتمدت في اتّهامها على التلميح دون التصريح. ولعلّ خير ما نشرته في هذا الموضوع كان لوائح بأسماء المحكومين بالسجن والنفي، ولوائح التعويضات التي استمرّت في نشرها سنة ١٨٦١. وهي منذ سنة ١٨٦٢ ولبضع سنين لاحقة، لسان حال المتصرّف داود باشا إبّان خلافه مع يوسف بك كرم، لذلك ردّت على رسالة كرم المشهورة(١٧)، والرسائل التي كان «برجيس باريس» يتلقّاها من بيروت والجبل(١٨)، وفيها طعن صريح بالحديقة، التي باتت متّهمة من مناصري كرم في الجبل. والحديقة أخيرًا لسان حال الوالي، منذ إنشاء ولاية سورية وإلحاق بيروت بها (سنة ١٨٦٥). وحُكمنا هذا ليس بالجديد كلّ الجدّة، فقد قيل في الحديقة الكثير، وتباينت الآراء في ميولها، ومدى ارتباطها بهذه الجهة أو تلك. بيد أنّ أقدم الآراء في هذه الصحيفة، وأبلغها صراحة وقسوة، رأي «برجيس باريس». وذلك حين اتّهمها بأنّها «لسان حال الوكالة الإنكليزيّة، والحكومة العثمانيّة في سوريّة»(١٩)، فردّت عليه واتّهمته بأنّه لسان حال الدولة الفرنسيّة.(٢٠)

أماكن وجودها

هذا أمر طالما أثار اهتمام المنقّبين والدارسين، وشغل بالهم، مثل ما شغلنا ردحًا من الزمن. فما أكثر السؤال والتساؤل عن أماكن وجود الحديقة! وها نحن نهوّن على الباحثين، فنحدّد تلك الأماكن على الشكل التالي:

- مجموعة المكتبة البودليانيّة بأكسفورد، وهي النسخة المصوّرة في مكتبة الجامعة الأميركيّة ببيروت.
- مجموعة مكتبة اللغات الشرقيّة والإفريقيّة بجامعة لندن.
- مجموعة مكتبة المتحف البريطانيّ.
- العدد ٥٠ بتاريخ ١٨ كانون الأوّل ١٨٥٨: في إحدى المكتبات الخاصّة بلبنان.
- العدد ٥٥١ بتاريخ ٤ آذار ١٨٦٩: في «محفوظات الصحف اللبنانيّة» بدار الكتب الوطنيّة ببيروت (نُقلت مؤخّرًا إلى مؤسّسة المحفوظات الوطنيّة).
- مجموعة المكتبة الشرقيّة ببيروت، وهي من العدد ١٢١٧ في ٢٢ كانون الأوّل ١٨٨١، إلى العدد ١٥٣٥ في ٩ شباط ١٨٨٨، إلاّ أنّها غير كاملة. وقد صُوّرت هذه المجموعة، منذ سنوات، على مكروفيلم لحساب مكتبة الجامعة الأميركيّة.

هذا ما بين يدينا حتّى الآن من «حديقة الأخبار»، لكنّنا لم نقطع الأمل نهائيًا، فثمّة مكتبات عالميّة لم تسهم في فهارس الدوريّات العربيّة التي اطّلعنا عليها، منها على سبيل المثال لا الحصر، مكتبات ألمانيا وإيطاليا وتركيا. وبالرّغم من جواب النفي الذي تلقّيناه من إستانبول، ما زلنا نرجّح وجود الصحيفة، إن لم يكن في المكتبة الوطنيّة، ففي الأرشيف العثمانيّ. فعسى أن نوفّق يومًا إلى ضبطها واستكمال ما نقص من مجموعتها.

الحواشي

(١) جوزيف الياس: **المجتمع الشرقيّ في الصحافة اللبنانيّة**، مج ١، ص «د»، أطروحة دكتوراه في الآداب، جامعة القدّيس يوسف، بيروت، ١٩٨٥.

(٢) فيليب طرّازي: **تاريخ الصحافة العربيّة**، ج ١، ص ٥٣.

(٣) م.ن.، ص ٥٤.

(٤) الجزء الأوّل، القاهرة، أيلول ١٨٩٢، ص ٩.

(٥) أحمد طالب ورياض خنيصر: «حديقة الأخبار قراءة سنة ١٨٥٨، جريدة **النهار**، ٣ نيسان ١٩٨٤.

(٦) طرّازي: م. ن.، نستبعد هذا الزعم بعد أن ثبت لدينا أنّ الجزء السادس من مجموع فوائد قد صدر سنة ١٨٥٦.

(٧) طُبع في إشراف المعلّم بطرس البستاني سنة ١٨٥٢.

(٨) بول أوخترلوني وياسين صفدي: **الفهرس الشامل للدوريّات والصحف العربيّة في المكتبات البريطانيّة**، لندن ١٩٧٦.

(٩) عبد الغني بيّوض: **٣٢٠٠ دوريّة عربيّة**...، دار علوم الانسان، المكتبة الوطنيّة، باريس، ١٩٦٩.

(١٠) ولد في بيروت سنة ١٨٢٢ ومات في عكّا سنة ١٨٨٩.

(١١) طرّازي: م. ن.، ج ١، ص ٥٧.

(١٢) ولد في الشويفات سنة ١٨٣٦ ومات في بيروت سنة ١٩٠٧.

(١٣) في الصفحتين الأولى والثانية، وتشمل الافتتاحيّة وأخبارًا ثلاثة: أوّلها عن الضائقة الاقتصاديّة التي عصفت بالغرب وامتدّت ذيولها حتّى بيروت، وثانيها عن سرقة البريد في صوفر، وثالثها عن إنشاء مسرح في الإسكندريّة.

(١٤) في الصفحتين الثانية والثالثة، وهي مقالة في «السفينة الإنكليزيّة الجديدة المسمّاة لوفياتان».

(١٥) وممّن شكرهم وأثنى عليهم نذكر: عبد الخمن سامي باشا «ناظر مجلس المعارف العموميّة بدار السلطنة»، والمشير صالح وامق باشا والي إيالة صيدا سابقًا، وإبراهيم بك كرامه الترجمان العربيّ لدى الباب العالي.

(١٦) يقول طرّازي إنّها تحوّلت في ١٣ آب ١٨٦٨ إلى صحيفة ثنائيّة اللغة، لأنّ المتصرّف فرنكو باشا جعلها الصحيفة الرسميّة لحكومة الجبل بعد تعطيل جريدة **لبنان** الرسميّة (**تاريخ الصحافة العربيّة**، ج ١، ص ٥٨).

(١٧) هي رسالة الإسكندريّة التي طُبعت في باريس سنة ١٨٦٣، ونشرها برجيس باريس في حلقات، بدءًا بالعدد ١١٨ تاريخ ١٨٦٤/١/٦، وانتهاءً بالعدد ١٢٩ تاريخ ١٨٦٤/٦/٨.

(١٨) نشر البرجيس أولى هذه الرسائل في العدد ٩٦ تاريخ ١٨٦٣/٢/٢٥. وقد استمرّت نحوًا من ثلاثة أعوام، وأربت على العشرين رسالة (نشرنا بعضها في جريدة **النهار**).

(١٩) **برجيس باريس**: العدد ٤٠ و١١، ١٨٦١/١/٨ (الطبعة الفرنسيّة).

(٢٠) حديقة الأخبار: العدد ١٤٦، ١٨٦١/١/٣١.

السياحة حاجة إنسانيّة ووطنيّة

د. ايلي يشوعي

السياحة ظاهرة حضارية، تحوّلت من نُشدانِ المتعة إلى التفاعل الانسانيّ والثقافيه بين الشعوب، وأضحت علاقة ودّ ومشاركة وجدانيّة بين سكان هذه الأرض. فهي عند ممارستها،تهذّب الذوق وترقّي الفكر وتغني الخبرة وتوسّع العقل.

السياحة وسيلة مهمّة لخفض التطرّف الدينيّ وحدّة النزوع إلى الفرديّة ومقاومة التجديد، عقائد يتغذّى منها الارهاب وتنظر الى السائح كقاطرة تحمل مفهوم التغيير والانفتاح والعصرنة التي يعتبرها المتطرّفون والفرديّون انحرافاً عن الثقافة الدينيّة والمجتمعيّة المحليّة.

السياحة من أهمّ وسائل تقدّم المجتمعات، لأنّها تنشر السلام والتسامح والتفاهم بين الشعوب كما تعزّز النموّ الاقتصاديّ والتنمية الاجتماعيّة والانماء المناطقيّ وتوظّف يدًا عاملة وفيرة. تحتاج إلى تطوير مستمرّ للبنى التحتيّة المتاحة، ولمقوّمات الصحّة الاجتماعيّة والمستلزمات البيئيّة. هي سلعة مركّبة من إعلان ونقل وإقامة وتنقّل، تتأثّر بعوامل اقتصاديّة عديدة كسعر صرف العملات ومستويات الأسعار والكلفة. زيادة التبادل التجاريّ مع العالم الخارجيّ والاستثمارات الخارجيّة المباشرة تقود أيضًا إلى زيادة التبادل السياحيّ، سياحة الأعمال. القيمة المضافة العالية في مجالات الصناعة تقوّي السياحة: صناعة السلع الاستهلاكيّة الوطنيّة والبناء والكهرباء والماء.

كثافة السكّان، انبعاثات غازات ديوكسيد الكاربون والالتزام بالمعايير البيئيّة والصحيّة العالميّة تؤثّر أيضًا على النشاط السياحيّ.

وسائل النقل ومياه الشرب والمطارات والمرافىء والطرقات والاتصالات والانترنت السياحيّ للاستعلام والحجوزات، ونوعيّة الحياة عامّةً، واحترام القوانين ومعايير تنظيم المدن ومؤشّرات التنمية البشريّة كمدّة الحياة ومستويات التربية والدخل، كلُّها من دعائم الحركة السياحيّة المتنامية.

أهمّ ما يتهدد السياحة راهنًا خطر الارهاب. فالارهابيّون يريدون أوّلًا، وقبل حجم الخسائر، أن يرى ويسمع أكبر عدد ممكن من الناس بنتائج أعمالهم العنفيّة. يبنون علاقة عضويّة بين السياحة والارهاب. فالسيّاح مثل السفراء لبلدانهم، يتلقّون بصدورهم ردّات الفعل على سياسات حكوماتهم من قبل هذه الجماعات. تأثيرات العمل الارهابيّ عامّةً محصورة جغرافيًا، ما عدا أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١، التي بطّأت السياحة الدوليّة لسنين عديدة قبل استعادتها لمسيرة نموّها. وقد عزّز الارهاب السياحة الاقليميّة التي تسمح بالتعرّف الى هويّات وحضارات مختلفة، وتكتسب فاعليّة أكبر على صعيد التنظيم والاعلان والكلفة والمرونة والامكانات التقنيّة. فبعد الهجوم الارهابيّ على «بالي» في ٢٠٠١، زادت وتيرة التعاون بين أندونيسيا وتايلاند وفيتنام لتخطّي الحدث والحدّ من تكراره اطلاق العجلة السياحيّة في تلك المنطقة من العالم. كذلك هو الأمر بالنسبة للهجوم الارهابيّ على شرم الشيخ في ٢٠٠٥، والذي متّن التعاون والتنسيق السياحيّين بين مصر والأردن. وقد تدخّلت منظّمة السياحة العالميّة، التي تعدّ ١٤٧ دولة، بعد كل تلك الأحداث وبعد حدث «التسونامي» في ٢٠٠٤، من خلال لجنة دوليّة، لاعادة إحياء النشاط السياحيّ العالميّ واستطاعت تحويل الدول من دور التنافس إلى دور التعاضد والتآزر. وتشجّع منظّمة السياحة العالميّة التعاون الدوليّ في المجال السياحيّ ونقل التكنولوجيا ودعم الجمعيّات الاهليّة المعنيّة بالسياحة، لكنّها تفتقد السلطة الملزمة للدول الأعضاء.

تمرّ السياحة العالميّة راهنًا بمرحلة عدم استقرار، على صورة الاقتصاد العالميّ المترنّح والمتعثّر بفعل الأزمة الماليّة العالميّة وتداعياتها وارتداداتها على الاقتصادات الحقيقيّة وأسواق العمل. لكنّ السفر في الداخل وإلى الخارج يظلّ على الرّغم من الانحسار الماليّ الدوليّ المتنفّس المعنويّ والنفسيّ والماديّ لكل شعوب العالم. فلكل دولة ثرواتها الطبيعيّة والثقافيّة والتاريخيّة والاجتماعيّة والماديّة تسعى بشتّى الوسائل إلى تسويقها وجذب السياح لزيارتها. ففي منطقتنا دول تخصّص موارد ماليّة وبشريّة طائلة لزيادة نشاطها السياحيّ كتونس وتركيا والمغرب ومصر والأردن وسوريا ودولة الامارات العربيّة.

في افتتاح مؤتمر: تقاطع المصالح بين القطاعين العامّ والخاصّ في مجالات الصناعة السياحيّة في لبنان، والذي نظّمته كليّة إدارة الأعمال والإقتصاد في الجامعة بتاريخ ٢٠/ ٢٠٠٩/٣.

أما لبنان، فهو بلد سياحيّ بامتياز، نظرًا لتنوّع طبيعته ومناخه وبيئته وسكّانه وغنى تاريخه، يتوافق مع كلّ أنواع السياحة من سياحة العطلات إلى سياحة الأعمال وسياحة زيارات الأهل والأصدقاء والسياحة الدينيّة والسياحة الصحيّة. لكنّ هذا القطاع يحتاج إلى مزيد من الرعاية الرسميّة والدعم الماليّ الخاصّ من استثمارات وقروض مصرفيّة، كما الى سياسة شاملة للنهوض به.

تحتاج سياحتنا إلى حملة ترويج لمختلف المنتجات السياحيّة في لبنان، ولموازنة كافية لتمويلها مع حسن اختياردول التبادل السياحي، ووسائل الاتصال، وإلى دور أفعل لسفاراتنا في المشاركة في مثل هذه الحملة خصوصًا مع المغتربين والمنتشرين.

كما تحتاج إلى تصنيف المناطق السياحيّة وإعطائها حريّة تامة في العمل، والى تعزيز مهنة الدليل السياحيّ وتميّزه بتعدّد اللغات والمعلومات والثقافة، وإدخال الأخبار السياحيّة في نشرات الأخبار المحليّة ورعاية ضريبيّة للسياحة بواسطة خفض الضريبة على القيمة المضافة على النشاطات السياحيّة وبطاقات السفر، وإعادة إحياء المجلس الوطنيّ لانماء السياحة لكي يساعد وزارة السياحة على وضع السياسة السياحيّة واسترتيجيّاتها المتعدّدة، وتوقيع اتفاقات في إطار جامعة الدول العربيّة لتقوية المعارض السياحيّة وتبادل التقنيّات والخبرات السياحيّة وتحديث وسائل الترويج الاكترونيّ على كافّة المواقع الاكترونيّة العربية. كما انها بحاجة إلى تنمية السياحة الداخليّة من خلال الرحلات المتنوّعة داخل لبنان وارساء تعاون مثمر بين القطاعين العامّ والخاصّ والى تعزيز السياحة البيئيّة بواسطة زيادة عدد المحميّات الطبيعيّة في كلّ المناطق مع موازنات رسميّة لها، وتطبيق صارم للقوانين من أجل حماية البيئة ومكافحة تلوّث المياه والهواء والشواطىء، وتأمين وسائل نقل رسميّة لكافة الاماكن السياحيّة. إنّ لبنان المتعدّد الأديان أرض مضيافة لسياحة دينيّة شديدة الغنى وعميقة الأبعاد. فالتعريف والترويج السياحيّان لكافهة الأماكنِ الدينيّة المسيحيّة والاسلاميّة ومناطقها الاثريّة والتاريخيّة مصدر تفاعل وغنى لأعداد كبيرة من السيّاح. امّا المهرجانات فتحتاج إلى منشآت كافية لعقد الاجتماعات والمؤتمرات والمعارض، والخدمات السياحيّة والفندقيّة الى جودة وتنافس في الأسعار مع الخارج، كما أن وضع تشريعات بالتعاون مع منظّمة السياحة العالميّة للاستثمار في المؤسّسات الفندقيّة والسياحيّة على اساس المقاييس الدوليّة للجودة والنوعيّة يقويّ السياحة ونوعيّتها. إنّ دعم قطاع تأجير السيّارات وخفض الرسوم الجمركيّة ورسوم التسجيل على السيّارات المعدّة للتأجير يساعد الحركة السياحيّة وتأمين القروض المصرفيّة والخاصّة المدعومة مثل كفالات وغيرها لتحديث التجهيزات السياحية في لبنان من العناصر الأساسيّة لتحديث هذا القطاع الاساسيّ في اقتصادنا الوطنيّ.

اقتصاد لبنان بحاجة إلى تصحيح نتائجه الكليّة، ومن اهمّها نسبة دينه العامّ إلى ما ينتجه سنويًّا بواسطة زيادة هذا الانتاج وتكبير حجم الاقتصاد. والصناعة السياحيّة مثل الانتاج الزراعيّ والصناعيّ من دعائم هذا الاقتصاد، ومن أهمّ أسباب زيادة نموّه وتعزيز نتائجه وتصحيح عيوبه، إذا أفادت واقعًا من رعاية رسميّة مميّزة ودعم خاصّ مناسب.

هل ينجح أوباما في مواجهة التحدّيات؟

د. لويس حبيقة

يرث الرئيس الأميركيّ الجديد مشاكل كبرى على الصعيدين الداخليّ والدوليّ. هنالك الوضعان الصعبان في العراق وأفغانستان، والواقع الأمنيّ المتردّي في منطقتنا، وما سواها من مشاكل ومناطق. لا شكّ أنّ المشكلة الاقتصاديّة الماليّة تبقى الأساس بالنسبة له، إذ تؤثّر مباشرة على البطالة والبحبوحة ومستوى المعيشة، وبالتالي على مستقبل الولايات المتحدة. يرتكز الفشل أو النجاح في رئاسته على ما سيستطيع تحقيقه بشأن الوضع الماليّ والاقتصاديّ. لا يمكن للرئيس إصلاح المؤسّسات الماليّة والصناعيّة من الداخل، إنّما يستطيع فقط الضغط عليها للإصلاح. ارتفعت نسبة البطالة من حوالى ٥،٥٪ في آخر سنة ٢٠٠٨ إلى ما يقارب ٩٪ اليوم، ومن المتوقّع أن ترتفع إلى أكثر من ١٠٪ خلال سنة ممّا ينذر بحصول مشاكل اجتماعيّة جديّة. تراجع الناتج المحليّ الإجماليّ خلال السنة الماضية بما يقارب ٢٪ ممّا يرفع عجز الموازنة من حدود ١٠٪ من الناتج في سنة ٢٠٠٩ إلى ما يقارب ١١٪ في سنة ٢٠١٠. لذا سيرتفع الدين العامّ ويزداد الاقتراض الخارجيّ وتبقى الولايات المتحدة تدور في حلقة مفرغة ومؤذية لمواطنيها.

يعي الرئيس أنّ القوّة السياسيّة والعسكريّة الأميركيّة تنبع من القوّة الاقتصاديّة التي تموّلها وتعطيها أهمّ وسائل النجاح والفعاليّة.

يحاول الرئيس حلّ المشكلة بطريقتين: أولاهما السياسة الماليّة السخيّة المرتكزة على التخفيضات الضرائبيّة والإنفاق؛ وثانيتهما عبر إعطاء الأموال للمصارف والشركات كي تستمرّ في أعمالها وإنتاجها. فالإنفاق على البنية التحتيّة مهمّ، إذ يساهم مع الوقت في رفع الإنتاجيّة بالإضافة إلى محاربة البطالة. لم تعط سياساته حتّى اليوم النتائج المتوخّاة؛ وأهمّ دليل على ذلك هو استمرار مؤشّر «الدوو جونز» في مستويات منخفضة، أي ما دون الـ ٩ ألاف. يواجه الرئيس الأميركيّ في الواقع تحدّيين كبيرين يمنعان حتّى اليوم نجاحه: أوّلهما انخفاض الثقة في حيويّة ومستقبل الأسواق الماليّة والخوف من المستقبل ممّا يفسّر الرغبة في بيع الأسهم ليس فقط داخل أميركا ومن الأميركيّين وإنّما دوليًا أيضًا؛ أمّا التحدّي الثاني فهو أنّ كلّ الحلول المطّبقة لم تعالج الوضع المصرفيّ الذي يبقى مهتزًا ومعرّضًا للإفلاس، لأنّ أهمّ هذه المؤسّسات غير قابل، كما هو، للحياة. تدور النقاشات العلنيّة حول جدوى شراء قسم من هذه المصارف من قبل الدولة أو تقسيمها، لأنّ استمرارها كما هي غير واقعيّ. لا يمكن لأيّ اقتصاد أن ينهض إذا بقي الوسيط المصرفيّ مريضًا أو معطّلاً، وهذا ما يحصل اليوم.

انتظر معظم الاقتصاديّين الأميركيّين أزمة ماليّة أميركيّة من نوع آخر، أي نابعة من سوء التوازن الداخليّ والخارجيّ. نقصد هنا تحديدًا عجزي الموازنة والحساب الجاري اللذين أثّرا سلبًا على الوضع الاقتصاديّ العامّ. إلاّ أنّ الأزمة الحاصلة اليوم مختلفة كليًا عن التوقّعات ونابعة من سوء تقدير حجم ودرجة المخاطر الماليّة ليس فقط من قبل المصرفيّين وإنّما أيضًا من قبل الجميع أي مقرضين ومقترضين وأجهزة رقابة. هذا يفسّر الإرباك الذي حصل أيّام بوش وبولسون، ويحصل اليوم مع الادارة الجديدة. فالقطاع العامّ الأميركيّ كان يعدّ نفسه لمواجهة أزمة من نوع آخر، فأتتهم أخرى أكبر وأصعب وتهزّ ركائز البنية الاقتصاديّة والماليّة للولايات المتحدة. يعي المواطن الأميركيّ اليوم أنّ اقتصاده بني على المضاربة والجشع والفساد، وبالتالي كان مستحيلاً أن يستمرّ على ما كان عليه. في كلّ حال، ما فعله الرئيس أوباما حتّى اليوم كان كبيرًا، ولكنّه لم يكن بمستوى طموحات الأميركيّين الذين ينتظرون الكثير وربّما المستحيل منه. فخطبه شبه اليوميّة، كما تصريحات المسؤولين الاقتصاديّين والماليّين داخل إدارته، لم تعط ثمارًا بعد، ربّما لأنّ توقّعات الأميركيّين هي أكبر بكثير. لذا، عليه مواجهة، ليس فقط الحقيقة الصعبة، وإنّما أيضًا التوقّعات التي لن تسامحه، بالرّغم من اعتراف الجميع بجهوده ومحاولاته.

لا يمكن لأميركا وحدها أن تحلّ مشكلتها الاقتصاديّة الماليّة بسبب ترابط الدول بعضها ببعض، وبسبب اتّكال الاقتصاد الأميركيّ لسنوات طويلة ماضية على الاقتراض الخارجيّ لتمويل عجز ميزان الحساب الجاري. أصبحت المشكلة اليوم دوليّة، وبالتالي لا يمكن للحلّ إلاّ أن يكون دوليًا، وبالتنسيق والتعاون فيما بين المؤسّسات الوطنيّة والدوليّة. لذا، تشير الوقائع إلى اعتماد الدول الغربيّة الأساسيّة، كما بعض الناشئة،

على السياسات القصيرة الأجل المتشابهة، أي سياسات ماليّة ونقديّة سخيّة تضخّ الأموال وتنشّط الطلب لتتجنّب الوقوع في الركود الأكبر. بلغت قيمة التحفيز الماليّ ما يقارب ١٥٪ من الناتج في الصين، و٦٪ في الولايات المتحدة، و٤٪ في إيطاليا، و٣٪ في ألمانيا، و٢٪ في اليابان؛ وهي نسب مرتفعة لسياسات ماليّة سريعة. انخفضت الفوائد دوليًا بسرعة لتشجّع الشركات على الاقتراض. لم تنجح هذه السياسات بعد بسبب القلق على المستقبل الذي تظهره المصارف والشركات.

هنالك سياسات دوليّة تقوم بها المؤسّسات كصندوق النقد عبر الإقراض والإرشاد، إلاّ أنّ الصندوق يحتاج إلى ما يقارب ٥٠٠ مليار دولار من الأموال الإضافيّة كي يستطيع القيام بأعماله. لذا، قامت اليابان، بالرّغم من مشاكلها الاقتصاديّة الماليّة الحادّة، بإقراض الصندوق مئة مليار دولار، وهذا ما يدعو إلى الدهشة والإعجاب والتقدير في آنٍ معًا. هنالك نشاطات دوليّة أخرى مهمّة تقوم بها منظّمة التجارة العالميّة لمنع الدول من الانحدار إلى السياسات الانغلاقيّة الحمائيّة التي تضرّ بالدول نفسها. فالمحاولات الأميركيّة لفرض شراء سلع وخدمات أميركيّة في الداخل يبدو أنّها فشلت؛ وكذلك المحاولات المماثلة للرئيس ساركوزي التي صعب تسويقها فرنسيًا وأوروبيًا. فالمشكلة الحاليّة هي دوليّة، ولا يمكن حلّها إلاّ بالتعاون الدوليّ وليس بالانعزال المضرّ النابع من الخوف والقلق والحاجة إلى الحلول السريعة وليس من العقل والدرس والمصلحة.

هنالك سياسات طويلة الأمد أيضًا تطبّق أو يجب أن تطبّق على المستويين الوطنيّ والدوليّ، ليس فقط لمنع السقوط، وإنّما للإنقاذ والنهوض على أسس سليمة تجنّب الاقتصاد تكرار ما عرفه خلال السنتين الأخيرتين. على الصعيد الوطنيّ لا بدّ من أن تعالج الولايات المتحدة، كما بعض الدول الأوروبيّة، مشكلة ضعف الادّخار داخلها بحيث تخفّف اقتراضها المتزايد من الخارج. شكّل هذا الواقع مصدرًا للتقلّبات، وعرّض التبادل التجاريّ والماليّ الدوليّ خلال السنوات الماضية للمخاطر التي يمكن بل يجب التخفيف منها. هنالك سياسات تشجّع النموّ وتساعد الفقراء عبر تمويل بعض التعليم والصحّة كما عبر الحفاظ على البيئة. تقوم الدول الناشئة أيضًا ببعض الإصلاحات في بنيتها المؤسّساتيّة والقانونيّة التي لن تعطي نتائج إيجابيّة كبيرة إلاّ على المدى البعيد وفي مقدّمها البرازيل والهند وكوريا كما الصين.

المؤسف اليوم أنّ العالم منهمك بالأزمة الماليّة، ويهمل أوضاع الفقراء الذين يبقون الضحايا الأهمّ لأزمات من هذا النوع. لا بدّ من معالجة موضوع الفقر، ليس فقط في الدول النامية، وإنّما أيضًا في الدول الغربيّة، أي في ضواحي معظم المدن الكبرى كنيويورك وشيكاغو. لا بدّ من فصل السلطات الاقتصاديّة الماليّة، أي بين المصارف المركزيّة التي يجب أن تركّز على تأمين الاستقرار النقديّ ومحاربة التضخّم وبين وزارات الماليّة التي يجب أن تهدف إلى تحسين واقع العدالة ورفع مستوى الفعاليّة العامّة كما بين أجهزة الرقابة التي يجب أن تحدّد السياسات والقرارات الوقائيّة المانعة لتكرار ما حصل. هنالك سياسات دوليّة يجب الاتّفاق عليها فيما يخصّ الرقابة والتنسيق وتحرّكات رؤوس الأموال وصولاً إلى إنهاء جولة الدوحة للتجارة التي طالت المفاوضات بشأنها. باختصار ما ينتظره العالم من مجموعة الدول العشرين هو المزيد من التنسيق وتوفير الموارد الماليّة لمواجهة الأزمة التي لن ترحم أيّ اقتصاد وطنيّ أو إقليميّ.

السياسة المدينيّة والشعر الشعبيّ

فرحان صالح

البارحة: يوم كان أبي (توفّي عام ١٩٦٣) كان الشاعر الشعبيّ يحاكي أيّامه؛ ما يقوله كان سجّلاً ليوميّات الناس، ينهض معهم في الفجر، يتابع حركتهم في الظهر، ويسهر مع أماسيهم ليلاً. كان الشاعر يصف فصول الخير، تلك التي تصنعها أيادي الناس، الفلاّحين. كان الشعر منتميًا إلى الحياة، إلى الأرض. أمّا مفردات الشعر فمنها نتابع جمال الأيّام والطبيعة والإنسان.

كان الشاعر يأخذ بذاره من الطبيعة ليزرعه بين الناس، والأرض جنّته وجنينته، مرآته، وجهه وجهها الذي ترسمه الأيادي المتشابكة كلّ يوم. دونه ليس من فصول، من خصب وعطاءات، ليس من بذر وحصاد.. هو من يصنع الحلم، الأمل، يزرعه في المواسم. كلماته تأتي بالمطر، بالسنابل، وبغصون الأشجار المحمّلة بالثمر.

كان الشاعر رفيقًا لحيوات الطبيعة، عدوٌّ لبعضها وصديق لمعظمها، يغنّي للسنبلة، للتفّاحة التي أكلها آدم، للعدس والشعير والحمّص والفول وطور سنين، للحمار والحصان، للقطّ والفأرة، للعصفور والشحرور والحجلة، للفراشة والحرذون. هم امتداداته، بعض من حياته. أهله أهل الطبيعة، هو وهم يجدّدون كيانهم منها، هو ذاته الفلاّح، الحريفّ، الناطور. هو وهم عيون الله على الأرض. كان الشاعر ذاكرة الناس والأرض والزمان، كان ذاكرة الله.

اليوم: تبدّلت الأيّام، ترك الفلاّحون قراهم، مات الشاعر، ماتت معه لغة الأرض، بموته لم يعد من تواصل مع تلك العوالم التي ساهم في صناعتها، تلك التي تتحوّل تدريجيًا إلى يباس وتصحّر وباطون وأماكن للنفايات.. لم يعد من حمار وناطور وكلب وقطّة، لم يعد من فصول... تلك القرى التي امتلأت المدن العربيّة بالمنفيّين منها.

اليوم لم يبق في تلك القرى إلاّ بعض من عجائز، وهم ضمائر الوجود، ذاكرة الأرض، شهود على فصول الخير، على التلاقح الذي كان، حين تحبل الأرض بمني السماء.

* * *

ما كان بالأمس لم يعد من شاهد عليه إلاّ ما تبقّى من إرث جيل وقد شاخ، ودونهم عقد القران بين الإنسان وحبيبته الأرض قد فُسخ.. لم يعد من تفاعل.. تبدّلت الحال، الأيّام... البارحة شمسها غابت مع أجيال ماتت، أصبحت سمادًا للأرض التي أحبّوها، أمّا أجيال اليوم فقد تغيّرت وجهتها تمامًا، كما تغيّر وجهها..

اليوم، أجيال تضيع، لا تعرف وجهتها ولا وجهها. الطبيعة التي كانت مطعمًا للحيوات كافّة، تخلّت عنها الأجيال الجديدة، تركتها إلى مدن وقد بنيت على أنقاض ريف وقرى، إلى مدن لم تحتضن أبناءها بل رفضتهم.. إلى ريف لم يعرف اهتمامًا من سياسيّين، خاصّة على صعيد بناء بنى تحتيّة، مدارس، مستشفيات، إضافة إلى مخطّطات للتنمية، خاصّة الزراعيّة منها، بما يستتبعها الإنتاج السلعيّ والمعرفيّ. هذه وتلك المدخل الضروريّ لتوطين إضافات الأجيال وثقافة العصر ومعطياته العلميّة والتقنيّة. إلى سياسة وتنمية تربويّة هي ذاتها التي يحتاجها سكّان الريف كي تعود إليه الحيوات البشريّة وغيرها، تلك التي ضاعت وما زالت تبحث عن أمكنة للاستقرار والحياة.

بهكذا سياسات وغيرها يعود الريف مكانًا صالحًا لسكن الأجيال المقبلة، تصوّب العلاقة بين مجتمع المدينة الذي يأكل ولا ينتج، وبين مجتمع الريف الذي يعمل ويأكل القليل. بهكذا سياسات تعود لغة الشعر الشعبيّ إلى أرضها، إلى بيئتها ورحمها، وسيلة للتفاهم ما بين الإنسان والطبيعة، ومع الذوات المجتمعيّة وحيوات المكان، الأمكنة..

لغة الشعر الشعبيّ اليوم أصبحت خارج مكانها وزمانها، هي لغة من التضليل، لا تعبّر عن شيء، بل هي اللغة التي تسعى لتأجيل الأحزان التي تحملها الأجيال التي ابتعدت عن الأرض، عن قراها.

* * *

البارحة: عبّرت المدرسة الرحبانيّة عن مجمل التحوّلات التي حصلت بين الريف والمدينة، وحملت هذه المدرسة المفردات المرتبطة بحياة الناس، الفلاّحين. لهذا السبب عاشت هذه المدرسة واستمرّت تغذّي الذاكرة وتعمل على تصويب العلاقة. وعمر الزعنّي ذاته كان موازيًا في نقده- للسياسات المدينيّة- للمدرسة الرحبانيّة. كما برز محمّد شامل ومسرح شوشو، وأخيرًا مسرح أنطوان غندور، لرفد هذه التجربة التي عبّرت عن روحيّة الحياة التي يعيشها اللبنانيّون، وليتأسّس منها الرافد الفعليّ للحياة السياسيّة برافعتها المغايرة. هذه الحالات أتت من رحم ومخاض المعاناة ولم تكن من خارجها حيث عبّرت عن المساحات الروحيّة التي عرفتها حياة الجماعات الريفيّة في علاقتها بالسياسات التدميريّة المدينيّة. وربّما ما جاء في كتاب أنيس فريحة المبكر «القرية حضارة في طريق الزوال» هو إنذار مبكّر (عام ١٩٤٨) ليفضح الخطر السلبيّ المبرمج الذي يمارسه السياسيّ في محو هويّة الانتماء وتجويف جوهر الثقافة الريفيّة المنتجة.

أمّا ما يأتي به الشعراء الشعبيّون اليوم، فليس له صلة بهكذا مدارس وثقافات عرفتها الحياة قبل ١٩٧٥؛ كان يعيش من القطاع الزراعيّ حوالى ٥٠٪ من المواطنين. الشعر الشعبيّ اليوم يروّج لثقافات مستلبة، مغرّبة، تبريريّة. لثقافة لم تسعَ من أجل خلق رافعة تضيف إضافاتها إلى معارف الجيل الذي سبق، ولن يتمّ هذا إلاّ بتحديث القطاع

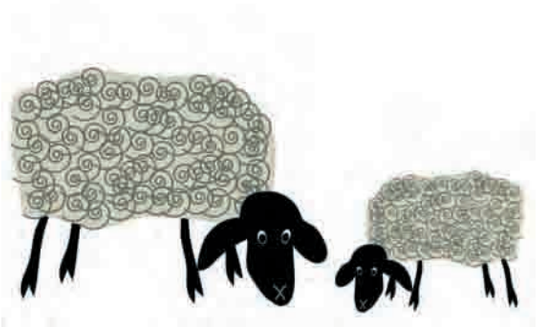

الجيل الذي سبق، ولن يتمّ هذا إلاّ بتحديث القطاع الزراعيّ والتأسيس لعلاقة متجدّدة مع البيئة والطبيعة، وبالتالي مع العصر هذا الذي تصنع موضوعاته الأجيال بما تضيفه وتراكمه من إنتاج ومن حاجات ماديّة ومعرفيّة.

* * *

البارحة: دفنت لغة الشعر الشعبيّ بقاموسها ومفرداتها مع من دفنوا، في أرض كانوا يجدّدون حياتهم فيها.. اليوم تشتّت الأجيال، لم يعد من مرجعيّة لهذه الأرض، لم يعد من تراكم على ما أسّس له جدودنا وآباؤنا، لم يعد من تواصل مضاف ومنتج مع ما كانت عليه حياتهم. لم تتحقّق الثورة الزراعيّة التي وُعِدت أجيالنا بها، تلك التي تربط العلم بالتنمية، وتؤسّس للجديد والمعاصر ملبّية الحاجات الغذائيّة لمجتمعاتنا، تلك الثورة الإصلاحيّة التي هي الأساس لكلّ تطوّر اجتماعيّ تقنيّ فكريّ.

نعم، إنّ الريف نزحت عنه الأجيال الجديدة، الأجيال التي كان عليها أن تضيف، وأن تجدّد وتستبدل التقنيّات القديمة بتقنيّات معاصرة يمكن منها مراكمة النتاج والإنتاج، وبالتالي سدّ حاجات مجتمعاتنا الغذائيّة، تلك التي يمكن توفيرها من بيئاتنا الزراعيّة...

لقد قُتلت تلك الحياة التي لا يمكن تجديدها عبر سياسات وثقافات الاستهلاك السائدة، تلك التي تستنزفنا وتستنزف إمكانيّاتنا. تلك المنتوجات التي نستوردها تأتي دون تعب لنا فيها أو في إنتاجها.

هذه السياسات التي جعلت من مجتمعاتنا عالة على الآخرين، بل مجتمعات أسواق لما ينتجه غيرنا..

نعم، إنّ هكذا سياسات أدّت إلى أن نصبح دون أرض، ودون سماء، وسماؤنا ساحة للأقمار الاصطناعيّة التي إن دلّ وجودها على شيء، فإنّها تدلّ على القوّة العلميّة التي وصلت إليها تلك الشعوب؛ بينما نحن ما زلنا نتغنّى، وبنفس الأسلوب، بهذا القمر الذي تغنّى به جدودنا منذ آلاف السنين.

إنّ السيطرة على الجوّ ما هي إلاّ لتأكيد السيطرة على أرضنا وبحارنا وغاباتنا وعقولنا التي نزحت إلى مجتمعات تعترف بالعقل.

نعم، نحن نجترّ ثقافة لم يعد أحد يأخذ بها إلاّ نحن.. فهل نريد تصدير الثقافة الدينيّة وهذا السائد منها الذي لم يهتمّ يومًا بالعقل وبحاجات الناس الماديّة؟

نعم، أصبح أمسنا حلمًا لحنين ما كنّا عليه، وأصبحت أيّامنا كآبات متواصلة من الأحزان، وغدنا له مثالاته ونماذجه التي تأتينا من الخارج لنتلقّفها ظنًّا أنّها ثقافة حداثويّة؛ بينما ما يُكتب يساهم في تدجيننا وتأكيد غربتنا وضعف حالنا..

ونحن في كلّ ما نقوله أو ننظّمه شعرًا، نجترّ ما قيل ليس فقط منذ ألف سنة، بل ما جاءت به أفكار وأسئلة عصر النهضة، هذه وتلك التي اجترّتها نخب سياسيّة دون أن تضيف إليها الأسئلة المستجدّة التي بقيت معلّقة دون أن يجيب عليها أحد. فضلاً عن ذلك الاهتمام بمسألة التعليم بما تشكّله من أمن وطنيّ، وعبرها تتراكم المعارف التي تنمّي شخصيّتنا وتحتاجها مجتمعاتنا، التي لا زالت تحرّكها وتحكمها سياسات أنظمة سايكس بيكو المستمرّة، وعقليّات لا زالت تهيمن عليها الثقافتان الإقطاعيّة والاستعماريّة، وبثقافة اتكاليّة معتقدين حامليها بأنّ الصلاة والصيام والأدعية دون الجهد والعمل يمكن أن تغيّر الأحوال، خاصّةً وأنّ خطباء الجامع ومسيّري المؤسّسات الدينيّة يعتقدون أنّهم يخاطبون مجموعات أقلّ ثقافةً، وأدنى مرتبة دينيّة ودنيويّة منهم.

نعم، حُرِقَت غاباتنا، هُدِرَت مياهنا، سُرِقت شواطئنا، وعمّرنا بيوتًا في بيروت والمدن العربيّة الأخرى، تلك التي لم يبقَ فيها أرض، ولا سماء، ولا بحر. إنّ ما تصنعه بنا هذه العقليّات وتنافر أزمنتها مع بعضها، خاصّة السلفيّة منها والحداثويّة الاستهلاكيّة، منهما يتمّ خلق الكوابح التي أخرجت مجتمعاتنا من دائرة الزمن، ومنهما يستمرّ هذا التخلّف وآليّاته لصالح أصحاب المصالح المشتركين، سواء كانوا في داخل مجتمعاتنا أم غرباء. هذه الثقافة وتلك ما هما إلاّ عدوّان لمصالح مجتمعاتنا في التعاون والتنمية، بما يستبعدان من التخطيط الحضاريّ الذي يتحقّق عبر التربية المعاصرة. ومواجهة ذلك لا تتمّ إلاّ بسيطرة التربية العلميّة التي هي المدخل للتغيير المجتمعيّ التنويريّ، ومكافحة التفاوت الاجتماعيّ، وبالتالي السيطرة على حاجات المستقبل.

نعم، ليست حضارة القرية في طريق الزوال، بل إذا استمرّت الأوضاع والسلوكيّات العربيّة على ما هي عليه، فإنّ لغتنا ذاتها في طريق الزوال؛ وفقط لاحظوا الكمّ الهائل من المفردات الأجنبيّة التي أصبحت جزءًا من لغتنا، لتعرفوا أيّها العرب عن أيّ شعر أو لغة تتحدّثون.

نعم أيّها الحكّام: إنّكم تختلفون كي لا تنفّذوا شيئًا ممّا تستوجبه مسؤوليّاتكم.

أخيرًا: إنّ التخلّي عن لغة الأرض، لغة الفلاّحين، بما يعني من تجاهل لذاكرة الذين عاشوا تاريخًا غير مكتوب، هي المدخل للتخلّي عن لغة السيادة والاستقلال، وهي المدخل للتفكيك السياسيّ والاقتصاديّ واللغويّ، ليس فقط في لبنان، بل في كلّ مجتمعاتنا العربيّة.

فتاة من الشرق

د. منصور عيد

اللوحة الشرقيّة ترتسم...
المكان: القاهرة، وفي الطبقة الأخيرة من مباني جريدة الأهرام المطلّة على مقهى اللواء.
الزمان: مطلع القرن الماضي. وبالتحديد، يوم الثلاثاء من كلّ أسبوع، عند الساعة الرابعة بعد الظهر.
أشخاص اللوحة مجموعة من كبار الأدباء والشعراء والمفكّرين يربو عددهم على الثلاثين. لكن، لا مجال لذكرهم جميعًا، وإن كانت أسماء بعضهم مؤشّرًا لأهميّة المجلس: عبّاس محمود العقّاد، لطفي السيّد، شبلي شميّل، سليمان البستاني، خليل مطران، داوود بركات، يعقوب صروف، حافظ ابراهيم، طه حسين، جرجي زيدان، وليّ الدين يكن، إسماعيل صبري باشا... وفتاة شرقيّة سمراء تعرّف عن نفسها بنفسها: كالبنّ أو كالتمر الهنديّ، أو كالمسك وُضع عليها لونُ الدم، وكثيرٌ من الوَجد والعشق والذهول، والجوع العقليّ، والعطش الروحيّ، واستعداد للطرب والسرور، واستعداد أكبر للشجن والحزن والألم...
ويا أيّها الفضوليّ الراغب في الاستزادة، إذا أردت أن تتعرّف بها أكثر، فتفرّس في حدقتيك، تجدْها في بصرك وفي بصيرتك على الرّغم منك. وإذا غابت عيناها عن مخيّلتك فسوف ترى دموعها مطبوعةً على هامش صفحة من كتبها، أو على حروف كلمة ارتوى حبرها، فتحوّل إلى حدقة واسعة تهتف إليك قائلة: أنا مي زيادة.
والفتاة السمراء التي ترتدي زيًا شرقيًا بسيطًا على غير تصنّع، ترحّب بالزائرين. و تواضعًا، لا تتصدّر المجلس، بل تجلس على مقعد عربيّ قرب من تشاء أن تكرّمه، وتميّزه عن الآخرين؛ ثمّ تدعو، تحبّبًا، ومن دون مجاملة، كلّ واحد منهم ليخدم نفسه، فهو في بيته ومجلسه: فنجانَ قهوة، أو كوبًا من الماء المعطّر بالورد، وإن لم يكن باردًا في حرارة نهارات القاهرة، لكنّه يثلج الصدور المحترقة بعشق تلك الساحرة التي يُقلق حسنُها الهادئ ارتجافات الشفاه، ويُلهب حديثُها الأنيق نبضات القلوب، وتضرم ثقافتُها الراقية شعلةَ الأفكار، على لسان عربيّ، فصيح، سلس، صاف، بعيد عن التكلّف، مصقول بأصالة الرومنسيّة الفرنسيّة، وإتقان للإنكليزيّة، ومعرفة للألمانيّة والإيطاليّة واليونانيّة. والمجلس الأدبيّ الفكريّ مزيج من سوق عكاظ، ومباحثُ أكاديميّة في الفلسفة والعلم والنقد والأدب. وإذا طاب اللقاء وصار المجلس خاصًا، حميمًا، انصرفت مي تُفرغ للمحظوظين قصيدةً تُنشَد، أو مقالةَ تُقرأ، أو قطعةً موسيقيّةً تُعزف، أو أغنيةً تَنفُذ إلى القلوب. والحصاد جنى ثمر، وقطاف ورد، وتقطير عطر، وفوح طيب. وموعد آخر في مساء يوم ثلاثاء جديد.
أمّا إذا تخلّف أحد أولئك الرجال عن موعد المجلس الأسبوعيّ، فنسمعه يُنشد ولهانًا، مشتاقًا، متحسّرًا، بلسان إسماعيل صبري باشا:

روحي على بعض دُور الحيّ حائمةٌ
كظامئ الطير توّاقًا إلى الماء
إنْ لم أمتّعْ بمي ناظريَ غدًا
أنكرتُ صبحَك يا يومَ الثلاثاء

بعد اللوحة المسائيّة تعود الفتاة الشرقيّة إلى ذاتها، إلى سوانحها وكلماتها وإشاراتها، وتعود إلى روحها فتسمع أصداء متردّدة من وراء البحار، من بلاد الاغتراب، من أميركا. تسمع كلمات يهتف بها شابّ، طفوليّ في حبّه، صوفيّ في عشقه، سماويّ في إنسانه، شرقيّ في غربته، لبنانيّ في عبقريّته، يهتف لها: حبيبتي مي. ويوقّع اسمه في آخر الرسالة: حبيبك جبران.
والصبيّة الحلوة تجيب، بخجل المرأة الشرقيّة العاشقة، وجهًا لم تره، وكائنًا لم تسمع صدى صوته من خلال النبرات، بل من ذوبان روحه في الكلمات، تجيب: حبيبي جبران...
وتوقّع اسمها في آخر الرسالة: حبيبتك مي.

إلى دارون في ذكراه

شربل شربل

حكاية النّاس مع التّاريخ طويلة، وهي، على أقلّ تقدير، من عمر التّاريخ. منهم من يسعى، عن سابق تصوّر وتصميم، لدخوله، ومنهم من يجد نفسه فيه صدفةً أو عن غير قصد...

وللتّاريخ بوّابات متخصّصة متعدّدة بتعدّد أجناس البشر وعلامات تمايزهم؛ بعضها تفضي إلى المنائر، وبعضها توصل الى المزابل...

وله صفحات تلوّنت بألوان النّازلين فيها، فمنها البيضاء النّاصعة بالأعمال المجيدة، ومنها التي امتعقت خجلاً، ومنها الّتي سوّدتها الأيادي القذرة و...

وللتّاريخ محطّات من اختراعنا، نتوقّف فيها للذكرى والعبرة؛ ومن المحطّات الّتي يتوقّف فيها العالم هذه السّنة محطّة مرور مئتي عام على ولادة المفكّر الإنكليزيّ شارلز دارون (١٨٠٩-١٨٨٢)، ومحطّة مرور مئة وخمسين عامًا على صدور كتابه «في أصل الأنواع» الّذي فتح به باب التّاريخ.

أمّا لون الورقة الّتي نزل فيها فتعصي عليّ معرفته. وهو، على سبيل التخمين لا التأكيد، يحاكي لون ورقة العشرة جنيهات الّتي قرّر بنك إنكلترا، منذ سنوات، طبع صورته عليها آخذة مكان صورة الرّوائيّ الكبير شارلز ديكنز.

وإذا كان معلومًا أنّ نظريّة دارون قد شرحت بطريقة منطقيّة وموحّدة تنوّع الحياة، فإنّ ما رافق إعلانه نظريّته من ردود فعل تراوحت ما بين الرفض والقبول، واختلاطها لدى الجمهور بنظريّة لامارك الّذي سبقه بخمسين سنة وقال إنّ البشر يتحدّرون من القرود، جاعلاً منها موضوع جدل واسع، تهمّني منه الجوانب الإنسانيّة والاجتماعيّة، والدارونيّة العربيّة، وموقف كلّ من جبران وأبي ماضي ويوحنّا قمير على وجه التحديد.

لعلّ أبرز من مثّل الدارونيّة عندنا وألّف فيها هو الدكتور شبلي الشميّل (١٨٦٠- ١٩١٧) صاحب «النّشوء والارتقاء» و«شرح بوخنر على مذهب دارون». فمن المعروف أنّ الشميّل قال بنشوء الحيّ من حيّ آخر؛ فالمادّة هي القديمة والنشوء من قوّة الطبيعة، والقوّة والمادّة لا تنفصلان.

وبذلك يكون قد دافع عن التولّد الذاتيّ وأنكر الخلق من عدم، أو الخلق الإلهيّ. وقد سمّيت نظريّته بالدارونيّة العربيّة. وناصره فيها كثيرون، منهم الزّهاوي ومظهر وابراهيم الحدّاد، الّذين عرفوا بالدهريّين العرب.

وفي المقابل، كان للتيّار الدينيّ ردود كثيرة على الدارونيّة العربيّة تنقضها وتسفّهها بالاستناد إلى ما جاء في الكتب المقدّسة؛ ومن أبرز هؤلاء السيّد جمال الدّين الأفغاني، وابراهيم الحوراني، واسكندر طوران...

وثمّة فريق ثالث رأى إمكانيّة التّوفيق ما بين الدّين والعلم، يمثّله جرجي زيدان ويعقوب صرّوف وآخرون.

أمّا جبران الّذي يحبّ «من النّاس المتطرّفين»، فقد كان متطرّفًا في تأييده هذه النظريّة، لا بأسلوب رمزيّ يترك مجالاً للتأويل، وإنّما بصريح العبارة، وفي مقالته الشّهيرة «الجبابرة» حيث قال: «أنا من القائلين بسنّة النشوء والارتقاء، وفي عرفي أنّ هذه السنّة تتناول بمفاعيلها الكيانات المعنويّة بتناولها الكائنات المحسوسة، فتنتقل بالأديان والحكومات من الحسن إلى الأحسن انتقالها بالمخلوقات كافّة من المناسب إلى الأنسب».

وأبرز ما يهمّنا ممّا جاء في «الجبابرة» أنّ جبران يعتبر هذه السنّة أمرًا محتّمًا تقتضي الحروب لحلّ مشكلة لا يحلّها إلاّ الصّراع. وما يفسّر هذا الربط هو كون جبران يردّ على تساؤلات تهدف إلى توقّع مصير العالم بعد الحرب الكونيّة الأولى، ومنها: هل يعود القرويّ إلى حقله فيلقي البذور حيث زرع الموت جماجم القتلى؟ هل يعود نيسان إلى الأرض ويستر بقميصه أعضاءها المكلومة؟ وهل يطلع الفجر على قمم لبنان؟

ومن آرائه أن «لا رجوع إلى الوراء إلاّ في الظاهر»؛ أمّا الحقيقة فهي أنّ البشريّة، رغم الحرب الكونيّة، تسير إلى الأمام لتحقيق غاية مرسومة، ولكنّ «الأقزام لا يرون الخفايا العادلة أو الغاية العلويّة» الّتي لا بدّ من بلوغها، والّتي كلّف الجبابرة المتصارعون بتقريبها، والبشر آلات في أيديهم يديرونها في هذا السبيل. وفي موقف حدسيّ رؤيويّ يرى جبران أنّ الدماء ستتحوّل إلى أنهار كوثريّة، والأرواح الّتي تزهق ستطلع فجرًا جديدًا. وهو يختصر، على طريقته البارعة قائلاً «ولكن، من يطلب نيسان من غير كفّ الشتاء فلن يجده».

واضح ممّا سبق أنّ جبران يبرّر الحرب! ويعتبرها إنفاقًا في سبيل الحقّ ليس فيها خسارة، ذلك أنّها فصل من فصول النشوء والارتقاء.

ربّ قائل: ولكن جبران عندما كتب «الجبابرة» كان في مرحلة «العواصف»، وهي مرحلة مطبوعة بتأثيرات نيتشويّة لا لبس فيها، وأنّه تصالح مع الحياة والمجتمع و... في النبيّ، خصوصًا، الّذي يعتبر خلاصة تأمّلاته.

ولكن، من يبحث في النّبيّ لا يجد تراجعًا واضحًا عن هذه النظريّة. ومن حقّنا أن نطرح السؤال: ألم يجد جبران في موضوع الحرب والسّلم ما يستأهل منه مقالة تأمّليّة في النّبيّ؟ يضاف إلى ذلك أنّ جبران عندما سئل الإذن في نشر دمعة وابتسامة ردّ بما معناه أنّه يقطع مع ماضيه حيث قال «إنّ الفتى

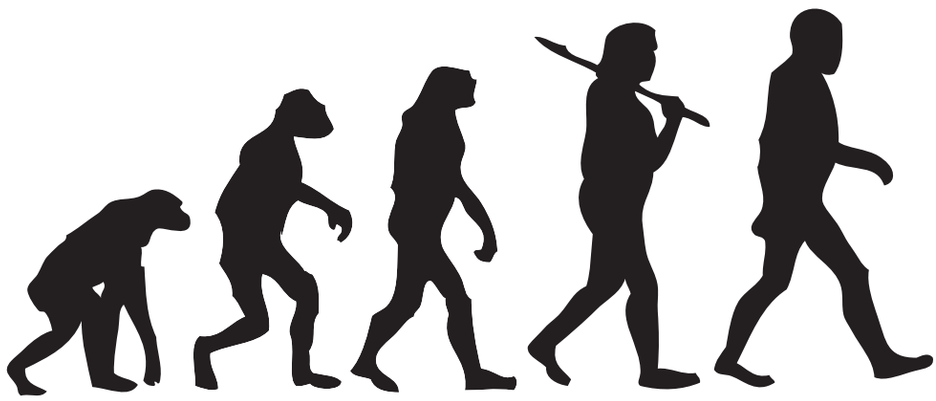

الّذي كتب دمعة وابتسامة قد مات ودفن في وادي الأحلام...فلماذا تريدون نبش قبره؟» وهو لم يترك في موضوع الحرب ما يقطع مع ماضيه.

أمّا أبو ماضي اللاأدريّ، فلم تغب هذه النظريّة عن شعره. ولئن ألمح إليها إلماحًا في قصيدة «الخلود» الّتي يؤكّد في مطلعها عدم إيمانه بعنوانها «غلط القائل إنّا خالدون...» حيث يخاطب البشر قائلاً: «إيه أبناء الثرى نسل القرود...» فهو يذكرها بصريح العبارة في قصيدته «الحرب العظمى» الّتي يصف فيها ويلات الحرب وصفًا يظهر لا إنسانيّتها وأهوالها:

« أنّى التفتّ رأيت رأسًا طائرًا
أو مهجةً مطعونةً بسنانِ»

وكذلك يذكر الدّمار الذي حلّ:

ومدينةً زهراءَ آمنةَ الحمى
هُدمتْ منازلُها على السكّانِ

وباختصار، فإنّها في رأيه «حرب أذلّ بها التمدّن أهله... وسحق القويّ فيها الضعيف وداسه ومشى على أرض من الأبدان... وصولاً إلى تقبيحه الحرب وذمّها صراحة في قوله:

بئسَ الوغى يَجني الجنودُ حتوفَهم
في ساحها والفخرُ للتيجانِ

ثمّ يعلن سخطه على هذا الأنسان الّذي يبرّر وقوع الحرب على أنّها سنّة لا بدّ منها للتطوّر، فيقول:

ما أقبحَ الأنسانَ! يقتلُ جارَه
ويقول هذي سنّةُ العمرانِ

وهو يكمل صابًّا غضبه على الأتراك...

وفي مقابلة ومقارنة ما بين أبي ماضي وجبران نجد اتّفاقًا واختلافًا؛ أمّا الاتّفاق فعلى أنّ الحرب شرّ، وأنّ الناس يموتون والفخر للتيجان وللجبابرة، أي الأقوياء الّذين يديرون اللعبة لمصلحتهم؛ وأمّا الاختلاف فواقع في أنّ جبران يرى الحرب شرًّا في الظاهر، ولكنّها إنفاق في سبيل الخير ليس فيها خسارة، وفي كونه يراها فصلاً في مسيرة النشوء والارتقاء، في حين يذمّ أبو ماضي الحرب الّتي يموت فيها الجنود ليفتخر السلاطين، ويتعجّب (ما أقبح!) من الأنسان الّذي يعتبر الحرب سنّة العمران. وهكذا، قياسًا على ما سبق، فإنّ أبا ماضي من فئة «الأقزام» في رأي جبران، وإنّ جبران يمثّل «الأنسان القبيح» في نظر أبي ماضي.

أمّا الأب يوحنّا قمير فقد أفرد لهذا الموضوع كتابًا عنوانه «ما أمسي وما غدي؟» أو «التطوّر الإنسانيّ». وفيه يقول صراحة «كان القول بتطوّر الحياة والأحياء نظريّة، فأصبح واقعًا علميًّا... وانطوى التطوّر القديم القائم على أنّ العالم قد وجد، مذ وجد، بكلّ ما عليه من أحياء، ومن أنواع الأحياء...» إلى أن يصل إلى القول «جدّنا حيوان، وأبونا حيوان، ونحن أحد الأنواع الحيوانيّة، وإن نكن أرقى نوع». وفي تعليله لسبب التطوّر يقول إنّه «طبيعة الأشياء نفسها». أمّا السبب البعيد، في رأيه، وهو المتمسّك بالإيمان، فهو «خالق تلك الأشياء بتلك الطبائع»، وهو لا ينفي «احتمال ظهور أنواع إنسانيّة جديدة مهما ضؤل هذا الاحتمال». وقد يتحكّم العلم في «التركيبة الوراثيّة» فيركّب أنواعًا بشريّة جديدة.

وما يلفت الانتباه في دراسة الأب قمير أنّه لم يتطرّق إلى الانعكاسات الأخلاقيّة لهذه النظريّة مقتصرًا على التّوفيق ما بين العلم والإيمان بذهن منفتح، رافعًا الإنسان عمّا عداه «ليس القرد جدّنا ولا أبانا، بل هو نسيب فاشل، وقف تطوّره، منذ حوالى ١٢ مليون سنة، وظللنا نتطوّر». ولكن ألا تكفي ١٢ مليون سنة ليصير الدم ماءً، كما يقال، ونتحرّر من الارتباط بهذا النسيب الفاشل، ما دام «قدرنا الاستمرار، لا الاستقرار، أو الاستقرار على الاستمرار» كما يقول يوحنّا قمير؟

تفحّصت ورقة العشرة جنيهات فوجدت أنّ صورة دارون قد احتلّت مساحة تعادل المساحة الّتي تحتلّها صورة ملكة بريطانيا معتمرة تاجها، وفكّرت في اقتراح وضع صور علماء ومفكّرين وأدباء وفنّانين من بلادنا على أوراق عملتنا، على قاعدة المناصفة والمحاصصة، ولكن خفت أن يتسبّب هذا الاقتراح في تخريب السّلم الأهليّ الذي ننعم به...

لذلك وجدت من الأنسب اقتراح وضع صورة «القرد» عليها جميعًا، خصوصًا أنّها تقفز من جيوبنا كما تقفز القرود. وأعتقد أنّ القرّاء الأعزّاء سيؤيّدون هذا الاقتراح، إلاّ إذا كانوا يرفضون الاعتراف بأنّ القرد نسيبنا على طريقة جورج برنارد شو الّذي قال «لا أعتقد أنّ القرد سيّئ إلى هذا الحدّ».

ما بين ساندي وناتالي

جورج مغامس

لا هي أطولُ من ساعد، ولا أعلى من ساق، ولونُها بُقَعٌ بُنّيّةٌ وبيضٌ سُكّريّةٌ... وكأنّها باتّساقِها الأنيق والظّريف نموذجٌ فنّيٌّ على منصّة التّذوّق!
دَخلت البيتَ بخَفر لطيف، مكسورةَ الطّرْف والذّنَب، ومعها بطّاقةُ تعريف بفحوصاتها الصّحيّة ومكتسباتها السّلوكيّة.

وهي تَعرفُ اسمَها، وتَعرفُ أن تَستجيبَ متى أُمرت أو نُهيت، استُدعيت أو طُردت؛ فثَمّةَ قاموسُ مفردات وإشارات مطبوعٌ في رأسِها، ودائمًا ما تَنصاعُ لمعانيه وغاياته.

أمّا أكثرُ ما يثيرُ فيها، وقد صارتْ من البيت، فهو احتفالُها بقدومك، واندساسُها في حضنك كفلذة منك، وما يوجِعُك من اضطرابها الرّاجف.. والنّائح الدّامع أحيانًا في ساعة افتقاد ووَحشة. ويَحلو لَها أن تَرقصَ لك وتراقصَك، وتتمطّى وتتقلّبَ، وتَشُمّ وتَلُسّ، ثمّ تَستروحَ وتستسلمَ لعبث يدك بجسدها ظَهرًا لبطن وبطنًا لظَهر حتّى الانتشاءِ الزّاهي.

وحين أنتَ إلى طعامك، تستجديك عيناها أَدَمًا أو فُتاتًا حتّى الإشفاق، فتُلقمُها، ولَكم تحدّثُها... فإذا كلاكما على بساط الأنس وفي حُمَيّا الألفة والرّخاء. وإذ تمشي تماشيكَ ألصقَ بك من رائحتك وظلّك. وهي، في كلّ حال، هادئةٌ مستكينةٌ بين حيثُما أنتَ قائمٌ أو نائمٌ وحيثُما مأواها وما بقربه من عُدّة طعامِها وشرابِها.. وخَلائها.

وإذا كان لها من صوت يُسمعُ، وصوتُها أكبرُ من حجمها.. وفعلِها، فآنَ تَستشعرُ، وفي غَفلة عن أيّ مَن في البيت، مَقدمَ أحدهم، من قَبْل أن يُفتحَ بابُ المصعد أو يُقرعَ بابُ المدخل. فإنّها، ولدى أدنى حركة أو صوت وحَسيس في تلك الباحة، تسارعُ إلى المُرابضة والمرابطة منبّهةً معلنةً، حتّى إذا ما دخلَ مَن دخلَ احتسّته واستطلعتْه، فإذا كان من أهل القَبول بَشّ لها وهَشّ ومنحَها لطفَه وعطفَه، وإلاّ نُهرتْ وأُبعدتْ إبعادَ الآثم الذّميم!.. وهي، في الحالَين، سببٌ لحديث طويلٍ عن من أين وكيف ولماذا، وما لأصلها وجنسها من خصائصَ وميزات، وكم كم تَفهمُ وتَحبّبُ بنفسها...

ساندي، هذه الإنكليزيّةُ بطوقها الأحمر، من طراز جاك راسِل، تُجَنُّ أكثرَ ما تُجَنُّ عندما تَلمحُ قطّةً، فتنطلقُ وراءها بتهوّر ما بعدَه تهوّرٌ. وتَخرجُ عن طَورها عندما تَرى وتَسمعُ السّلسالَ، فتُراكضُ ركضًا قفزًا وانزلاقًا، ودونَ ذاكرتها نزهةً سَيرًا أو بالسّيّارة وما سيُطريها في عيونِ الإعجاب والاشتهاء!

ومن معجبيها العُشّاق بضعُ نسوة وبنات من جيرة البيت وصحبته، يتردّدنَ عليها ويُوادِدْنَها، وأخصُّهنّ ناتالي.. ناتالي التي عوّضتها أمُّها ما نَقُصَ في تكوّنها، حتّى باتت عشيرةَ عشيراتها يَحدِبْنَ عليها حَدْبَها ويُفْسحنَ لها في مجالسهنّ الدّافئة كسَويّة سَواء؛ فقد صار لساندي في قلب ناتالي منزلةٌ خاصّة، وباتتا على كثيرٍ من التّسارّ والتّراضي!

هذه السّاندي تحبُّ مَن يحبُّها، ولا شكّ. لكنّ الذي بينها وبين ناتالي يُذيبُ القلب. فكلاهما يَستسلمُ للآخَر بألف تعبير وتعبير، إلاّ بكلمة الحروف. فثَمّةَ وِصالٌ مبثوثٌ ما بين الأعماق، ومنه انبثاقاتٌ تَضوعُ كطقوس جنائن الأطفال..، لكأنّهما نصفان من الذّكاء الخام والتقيا!

لا. لن يصدّقَ أحدٌ أنّ لساندي هذه الطّنّةَ والرّنّةَ حتّى يزورَ ذاك البيت. إنّه يرى كم لها من حضور، وكم تلقى من عناية، وكم.. كم تملأ من فراغ بعدما تراجعت الهمّةُ إلى طلب الملذّات، والحاجةُ إلى المسامرات، والشّجاعةُ على المغامرات،.. وغادر الأولادُ الأسرّةَ إلى أسرّة أخرى في بيوت أخرى... مع ساندي، أدركتُ كم بات في من وَحشة هي أختُ الوحشة التي في ناتالي!

٩ أيّار ٢٠٠٩

ndu spirit

إيمائيّة الروح في قلب المدينة

"عبدو القاعي"

في الحركة الثقافيّة- أنطلياس، في ٢٠٠٩/٤/١٤، تناول بعض الباحثين: هاني فحص وعبّاس الحلبي وسهيل فرح وملحم خلف، كتاب عبدو القاعي: إيمائيّة الروح في قلب المدينة، الصادر عن منشورات جامعة سيّدة اللويزة.

السيّد هاني فحص باشر مداخلته بالقول:
مَن عَذيري من عبدو قاعي؟
يريد أن يعمّر كلّ الخرائب! وأن يعي تشكيل كلّ شيء! من روحنة الماديّ إلى تجسيد المعنويّ!
يريد أن يحيي الثابت بالمتغيّر ويحمي المتغيّر بالثابت!
في جوّ يتنازعه نزوعان: نزوع القطع بين الموروث والمستجد، ونزوع استحضار الموروث مثالاً تامًّا وناجزًا. أي قتل الماضي بالمستقبل أو خنق المستقبل بالماضي!
وفي المحصّلة لبنانيًا، إلغاء لبنان الكلّي بمكوّناته أو إلغاء هذه المكوّنات بلبنان. وكأنّنا في خيار حصريّ بين الوحدة الفقيرة والمفخّخة وبين التعدّد النازع إلى التشظّي.
هل المسألة سياسيّة أو اجتماعيّة أو ثقافيّة؟
يريد عبدو من خلال ما يقوله ويستدرجه من أقوال بأنّ الثقافيّ والروحيّ هو شرط السياسيّ والاجتماعيّ، وأنّ ما شهدناه من انتكاسات في السياسة والاجتماع، أي العمران والنموّ، لم يكن ليكون لو أنّ الشرط الثقافيّ لإدامة النهوض كان متحقّقًا.
ويتواطأ عبدو قاعي، في هذا الكتاب وفي غيره، مع نفسه، ويحاول أن يواطئنا على أمثولة لبنانيّة إنسانيّة، روحيّة تتوهّج في المادّة، وماديّة تتروحن في الايمان الذي يمر تتروحن في الايمان الذي يمرّ بالانسان فيبلغ السماء..
فإن لم يمرّ لم يصلْ وألغى ذاته بذاته..
وينتبه عبدو إلى أنّ المعرفة هي الشراكة، وأنّ من ينتج وحده يصنع جهالة.. وقد تُسمّى معرفة.. تسميةً للضدّ بالضدّ. على هاجس الشراكة يميل عبدو قاعي إلينا عارفًا بأنّنا ميّالون إلى ما يميل إليه.. وأنّنا مرصودون بالإحباط الذي كلّما ازدادت دواعيه ازداد طموحنا إلى تحويل اليأس إلى بدايات رجاء.. ومن قال إنّ كلّ الرابحين أغنى من كلّ الخاسرين؟ على أنّ الخسارة في الحياة الثقافيّة هي بنت الإبداع وأمّه...
لا يَتعب بل يُتعبنا عبدو قاعي.. ولولا هذا التعب الجميل بالانشغال والاشتغال على المعنى، لأصابنا العياء والرهق، ولشاخت أفكارنا واندلقت محابرنا وانكسرت أسلاؤنا في آفاقنا.. وذهبت أوراقنا طعمًا للنار والريح...

القاضي عبّاس الحلبي أشار بدايةً إلى جملة قضايا، أبرزها:
١. الأسلوب أي أسلوب الصياغة: إنّ أسلوب الكتاب ليس ذلك السهل الممتنع الذي يخوّل القارئ، أيّ قارئ، فهم المقصود وبلوغ المأمول. فهذا الكتاب ليس موجّهًا للعامّة، بل هو موجّه بصورة أساسيّة للخاصّة الذين يستطيعون الوقوف على مدارك الألفاظ وعمق المعاني.
٢. تميّز هذا الكتاب باستعمال العبارات النافية، وقد أحصيتُ المئات منها في القسم الأوّل: اللانظاميّة (ص ٢١)، اللاتاريخ (٤١)، اللامتناهي (٤١- ٩٠)، لانهاية (٤٨- ٦٤- ٨٨- ٩٠- ٩٥- ٩٨)، لامحدوديّتها (٦٤)، اللانظاميّة (٨٧- ٨٨) اللالتزام (٨٩)، لانهائيّين (٩٠- ٩١)، اللامتوقّع (٩١)، اللاقياس (٩٠)، اللاوزنيّة (٩٣)، اللامتوقّع (٩٣)، اللامرئيّ اللانهائيّة (٩٧)، اللامؤسّسة (٩٨)، اللاغرض (٩٩)، اللامنطق (١٠٠)... وفوق ذلك عندما يتطرّق إلى البحث تراه يجنح إلى بحث البحث عن البحث (٩٧) وعن الإلتزام الإلتزام وعدم الإلتزام.
٣. يصعب اختصار الكتاب وتحديد مرامي المؤلّف بعجالة. إلاّ أنّني أتوقّف، وأنا الموحّد، عند الفيض من روحانيّة المؤلّف المتجلّية في سياقه الفكريّ الروحيّ حول موضوع الايمان تقيّدٌ بالمعتقد أم إلتزام بالحبّ والبحث عن الحقيقة، وكناشط في المجتمع المدنيّ حول موضوع المواطنيّة والتنشئة المدنيّة والمثال اللبنانيّ.
وتابع: في العنوان الأوّل، أي الايمان، دوّنت وأنا أقرأ هذا الفصل أنّك يا عبدو من حيث تعرف أو لا تعرف. أنت صوفيّ. وهل أدلّ على ذلك من افتتاحك لهذا الفصل بالوحدة بين أديان هذا العالم (ص ٦٩)؟
وهل من إيمان وعبادة أهمّ بنظرك من الإصغاء إلى الله والحبّ (٧٨)، فيغدو الحبّ بنظرك القيمة الوحيدة الجديرة بالوجود؟
وفي العنوان الثاني، فإنّ الكاتب ينصح كلّ الذين يسعون للتعرّف إلى ذاتهم الانسانيّة الحقّة في تجلّياتها الاجتماعيّة أن يبتعدوا عن مسارح هيمنة السلطة من خلال إخضاع سلطتهم لتمرين المواطنة حيث إجازة حسن السلوك الجماعيّ الحرّ العادل والمسؤول يفرض عليهم الاستناد إلى شرائع الحقوق الانسانيّة وإلى مراجعة هذه الشرائع باستمرار إنطلاقًا من واجبيّة الإعلاء من شأن الأكثر فقرًا والأشدّ ضعفًا (ص ١٦٢). وإنّ في هذه النصيحة ثورة على التقاليد، ودعوة لإعادة النظر

في تأسيس التربية القائمة على الخضوع والخنوع التسليم بالحتميّات والإذعان للمسلّمات.

الدكتور سهيل فرح عيّن عشر نقاط رأى إليها جديدةً في الكتاب:

١. حضور العناصر الفلسفيّة والسوسيو ثقافيّة والدلاليّة والأكسيولوجيّة العامّة بقوّة في كلّ كلام النصّ، ما يجعله مقاربةً معرفيّة تكامليّة.

٢. حضور الأديب الذي يستقي جماليّة الكلمة من منطقة خياله المبدع.

٣. القطيعة المعرفيّة- الابيستمولوجيّة مع سلطة الفكر التقليديّ للمؤسّسة الدينيّة وخطابها، ومع فكر اقتصاديّ وسوسيولوجيّ وأخلاقيّ وسياسيّ وفلسفيّ تأتّى من عصر الحداثة وما بعده.

٤. تشغيل طاقات العقل والروح والنفس والجسد معًا من أجل اجتياز شيخوخة خيارَي الاشتراكيّة والليبراليّة الكلاسيكيّين السيّئين، والعمل على انفتاح الأسئلة الوجوديّة على تجديد دورة جديّة جديدة للحياة الماديّة والروحيّة على كوكبنا.

٥. فلسفة الإصغاء الدائم لله والحبّ. فالحبّ هو القيمة الوحيدة الجديرة بالوجود. هو قيمة الحياة في مواجهة الموت.

٦. تكثيف الحضور الأخلاقيّ في العلم والحضور الثقافيّ والعقلانيّ في الايمان، والتسامي عن عصبويّة الأنا العائليّة والطائفيّة في اتجاه التلاقي الانسانيّ العامّ والتماهي المبدع مع العقل الكونيّ.

٧. التطلع إلى القيم المتسامية والمرتكزة على الروح الإلهيّة والكونيّة النورانيّة، وعلى القيم الانسانيّة الشموليّة الكوكبيّة المستنيرة لمنظومة أخلاقيّة عامّة حول مفهوم الفضائل والرذائل.

٨. الدعوة إلى فلسفة حوار بلغة ذات بعدين: الأوّل يقوم على مبادئ الخاصيّة والتنوّع والنسبيّة والتعدّد والتموضع (alerité)، والثاني على المعرفة العقلانيّة العميقة لنقاط التمايز والتواصل بين الخصوصيّة الثقافيّة للأنا وللآخر من أجل بناء المدينة الانسانيّة المتنوّعة التي تتّسع لطبيعة المنطقتين المتمايزتين في الطبيعة الانسانيّة الواحدة.

٩. الثورة السلميّة على سياسة الزبائنيّة والطاعة للراعي والزعيم، والمساهمة النشطة في بناء المدينة المؤمّنة لكلّ مستلزمات الحياة المشتركة لدولة المواطن والمواطنة.

١٠. ملء الفراغات الاجتماعيّة والسياسيّة والأخلاقيّة والروحيّة من أجل ثقافة الحياة العادلة في دنيويّتها والعبقة الروح في ألوهيّتها وكونيتها.

وانتهى الدكتور فرح إلى هذه الإشارة: كتابات القاعي ورؤاه، والتي فيها شيءٌ ما نوستراداميّ بالمعنى الإيجابيّ، هي نقطة ضوء في «تونال» الفكر السوسيولوجيّ الفرانكوفونيّ، ولعلّ أبعد من ذلك أيضًا...

الأستاذ ملحم خلف، وانطلاقًا من قول شومسكي إنّ في العالم ثلاث ديكتاتوريّات: النازيّة والستالينيّة وانعدام الأفق، رأى أنّ القاعي يحرّرنا بشيء من الجماليّة من واقع الدوائر المنغلقة والتقليديّ المتناقل وكلّ عفونة وصدأ، فقال: إنّ إيمائيّة الروح تضع كلّ واحد منّا أمام مسؤوليّته، ويُسأل:

أنت الأب المربّي، أينك من مفاهيم الأنموذج الحيّ الصالح؟

أنت أيّتها الأمّ، أينك من مفاهيم التربية على الحريّة والمسؤوليّة والنقد؟

أنت أيّها المسؤول، أينك من إمكانيّة النقد وحريّة الاحترام؟

أنت يا رجل الدين، أينك من إيماء الروح خارج الطقوسيّة، أينك من الاختبارات ذات الطابع الروحيّ، أين تعاليمك من جوهر الدين، أين الآخريّة، أين المجّانيّة، أين الحريّة؟

أنت أيّها الشاب، أينك من الالتزام؟

نحن جميعًا، أيننا من المشاريع الخلاّقة المسندة إلى الصدق والتي ينتظرها شبابنا؟

وإن أردنا أن نذهب أبعد، ولنفهم ما أراد عبدو القاعي من كتابه، فهو أن نتحوّل إلى أنموذج حيّ للحداثة عبر التجربة المعيوشة التي تعطي القوّة لإتمام التغيير.

الكتاب يفتح الطريق أمام الرجاء. فهو فتح للأفق على المدى غير المحدود. هو فكر لعمل ملتزم على مساحة الوطن.

Epigraphie Syriaque Au Liban

النقوش الكتابيّة السريانيّة في لبنان

"أمين- جول اسكندر"

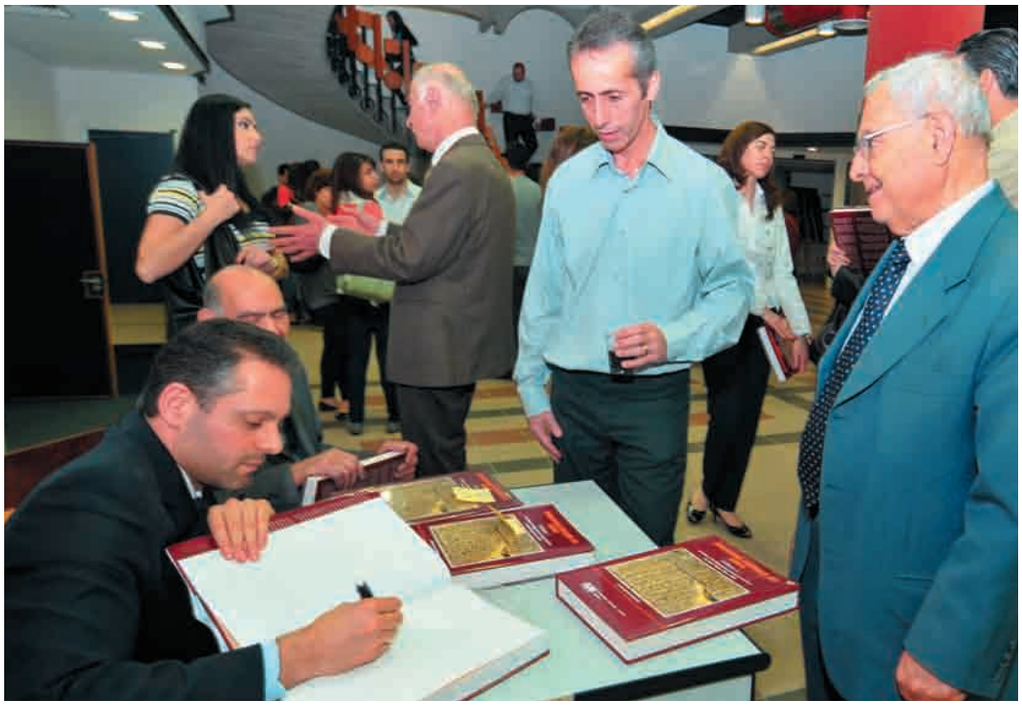

«أمين- جول اسكندر يؤدّي رسالة: من كتاباته عن الأرمن، ثمّ عن الفينيقيّين، وصولاً إلى السريان ومظاهر حضارتهم في لبنان. فهو، في هذا الكتاب: Epigraphie Syriaque Au Liban النقوش الكتابيّة السريانيّة في لبنان، يتابع مسيرة أرنست رينان، العالم الفرنسيّ الشهير، الذي تنقّل في ربوع لبنان، وكتب مؤكّدًا أنّه، لبنان، كما فلسطين والعراق وسوريا، مهد معظم الحضارات التي عُرفت في العصور القديمة.

ولهذا، فإنّنا عندما نقرأ هذا الكتاب، ونطّلع على رسومه، ونجول مع مؤلّفه في الأديرة والمناسك والتلال، نعود إلى جذور الحقيقة اللبنانية، وإلى الحضارة السريانيّة التي ما تزال تتردّد، لغةً وطقوسًا، في قدّاسنا وكنائسنا وتقاليدنا الدينيّة. فهنيئًا له ولنا هذا الكتاب. ونحن بانتظار الكتاب الثاني، الذي وعدنا به، بحيث يتكامل الكتابان، معرفةً وثقافة».

هذا المقتطَف من كلمة رئيس جامعة سيّدة اللويزة **الأب وليد موسى** في حفل توقيع كتاب الأستاذ اسكندر في ٢٠٠٩/٤/٢٨، والصادر باللغة الفرنسيّة، عن منشورات الجامعة، هو من خير ما يمكن التقديمُ به في مقام التعريف بالكتاب.

ثمّ تكلّم في المناسبة الأبوان ناصر الجميّل وبيار نجم والدكتور باسيل عكّولة.

الدكتور باسيل عكّولة حرص على الإشارة إلى مسيرة المؤلّف خلال حقائق ثلاث لا يحيد عنها: الكنيسة المارونيّة، وارتباطها بالسريانيّة، في وطن هو لبنان. بل هو ذهب إلى القول إنّ كتبه هي أعمال عاشق أو صوفيّ قرّر أن يجوب أرجاء بلاده يلتقط صور النقوش آنَ تزواجِها وأشعّة الشمس.

فالكتاب هذا، قال عكّولة، يستحقّ المحلّ اللائق في مكتبة كلّ مهتمّ بالكتب الرائعة أو بروائع لبنان أو بالوجه السريانيّ للكنيسة المارونيّة أو بتاريخ لبنان وحضارته وامتداداته الجغرافيّة والدينيّة والانسانيّة.

أمّا **الخوري ناصر الجميّل** فجاء في مداخلته: لطالما تساءلتُ ماذا بقي من الكتابات التي رصّعت هياكل الفينيقيّين وارتفعت على أعتابها على مدى السنين الطوال، وعبّرت عن توقهم إلى المطلق؟ وماذا بقي، في لبنان، من الكتابات التي تركها الفرس واليونان والرومان الذين طوّعوا حضارات المشرق وعبروا؟ هل صحيح أنّها ذهبت إلى المتاحف العالميّة واستعادتها الاحتلالات والاستعمارات والانتدابات والوصايات؟ هل يُعقَل أن تندثر حضارات استعملت الحجر، بكلّ أنواعه وطبقاته وألوانه، وعلّقت عليه الأبجديّات ونقوش الآلهة والأباطرة؟

هذا في المدى الوثنيّ. أمّ في المدى المسيحيّ فأقول إنّ المسيحيّة في لبنان ليست طارئة، بل كانت هي أيضًا منذ اللحظات الأولى، لا بل حافظت، في كتابها المقدّس، على إرث الأمم غير المسيحيّة ونفحته بروحانيّتها، وحوّلت الهياكل إلى كنائس لعبادة الإله الواحد. وعليه أسأل ماذا بقي من آثار الكنائس الأولى في العالم المسيحيّ، التي ارتفعت في سماء لبنان منذ انتشار المسيحيّة؟ أين هي آثار أوّل كاتدرائيّة في الأمبرطوريّة الرومانيّة التي بناها الأسقف بولينوس، في صور؟ وأين هي آثار سائر بازيليكات أبرشيّات فينيقيا الساحليّة: صيدا، والجيّة، وخلدة، وبيروت، وبيبلوس، والبترون،

الخوري ناصر الجميّل

د. باسل عكّوله

وطرابلس، وعرطوز، وعرقة؟ وغيرها من الأسئلة التي يطرحها العالم الفضوليّ، اليوم، ولا يجد لها جوابًا شافيًا، بسبب النقص في الأبحاث الأثريّة، وبسبب جهلنا لوثائق الألف الأوّل، أو بسبب ندرتها.

أضاف: يقولون إنّ لبنان، في المراحل القديمة، تكلّم الفينيقيّة والسريانيّة وتأثّر بالحثيّة واليونانيّة واللاتينيّة... وأنّ الكنيسة الأنطاكيّة السريانيّة تضمّ، اليوم، خمس بطريركيّات، وكلّها سريانيّة. ولكن أين مخطوطاتها وكتبها الليتورجيّة؟

فالأبحاث من أجل الكشف عن ذلك تستمرّ خجولة، مع العلم أنّ كثيرين كتبوا في التاريخ اللبنانيّ قبل البطريرك إسطفان الدويهي وبعده. ولعلّ أهمّها الجهود التي تجلّت في «بعثة فينيقيا» (Mission de Phénicie) لإرنست رينان مع كلّ هفواتها أحيانًا، وجهود سائر الرحّالة من بعده. ومنذ القرن العشرين، لا بدّ من أن ننوّه بما قام به الآباء اليسوعيّون في اكتشاف آثار لبنان والمنطقة: رونزفال وموترد وشيخو وسواهم، وبجهود مجلّة Mélanges من أجل إبراز هذه الآثار وهذه الكنوز. وبالمقارنة مع المسح الشامل والدقيق الذي قام به العلماء الأوروبيّون والأميركيّون لآثار العالم القديم في هذا المجال، من مصر إلى الأردن وسوريّا، وإلى بلاد ما بين النهرين، منذ القرن التاسع عشر، يأتي لبنان في مرتبة متأخّرة جدًا. أنظروا، على سبيل المثال، كتاب Enno LITTMANN. Greek and Latin inscriptions في سوريّا والأردن، الصادر عن منشورات جامعة برنستون، والمطبوع في LEIDEN، سنة ١٩٠٧، أي منذ بداية القرن العشرين. هذه الكتابات معروفة ومتوفّرة للعلماء. وفي خضمّ هذه التساؤلات وهذه المقارنات، ظهر الأستاذ أمين- جول اسكندر، وشرع يبحث بفكر موسوعيّ وبدقّة العالم ويجمع ما يقع تحت نظره من كنوز لبنان المنحوتة التي لا تقدّر بثمن. يجمع في كتابه الكتابات السريانيّة المارونيّة المحفورة في الحجر. وبعمله هذا يفتح باب البحث حول الوجود السريانيّ المارونيّ وتأثيره، في لبنان. وكان بالإمكان توسيع المروحة أكثر لتشمل سائر العائلات السريانيّة. ولا أظنّ أنّ ثمّة من يجهل مدى المعاناة والمضايقات التي يعيشها الباحث في بلادنا؛ مع ذلك، استمرّ أمين اسكندر بعناد الباحث التي تجذبه الحقيقة. همّه علميّ ووطنيّ: لأوّل مرّة يطلّ علينا هذا الكمّ المنحوت السريانيّ المارونيّ الكبير، نرجو من عمله أن يكون، ولو متأخّرًا، قد ملأ الفراغ، مقارنة مع الأبحاث التي سبقتنا بها البلدان المجاورة، كما ذكرنا.

هذا النوع من الأبحاث لا ينتهي. فحبّذا، أوّلاً، لو نعمل جميعًا على خلق ذهنيّة بين شعبنا للمحافظة على التراث، كلّ التراث، وعدم الاستفادة منه فقط في بيوتات بعض الميسورين، على حساب خير الجماعة، وعلى حساب المعرفة العلميّة.

وحبّذا، ثانيًا، لو يتشكّل فريق عمل، تدعمه جامعاتنا ودول ومراكز أبحاث عالميّة متخصّصة، لها ميزانيّاتها وأهدافها العلميّة على غرار ما تشهده، مثلاً، جارتنا سوريّا في هذه الأيّام، من أجل التنقيب على الآثار. سبعون (٧٠) بعثة علميّة عن حضاراتها على مساحة سوريّا كلّها. تراثنا المكتوب على الورق كما المنحوت في الحجر وفي النفوس أيضًا. وهذا لا يلغي بالطبع بناء الطرقات والجسور والسدود وما سوى ذلك. فالمحافظة على التراث مرتبط بالمحافظة على الهويّة. فإن أردت أن تمحو هويّة شعب ما، إعبث في تراثه.

في الختام، قال:

إنّي أقترح، أوّلاً، أن تتبنّى كنائسنا المشرقيّة وجامعاتها، أن تكرّس، منذ اليوم، بعضًا من بنيها وبناتها للتضلّع من اللغات القديمة الضروريّة، فيشكّلوا فريق عمل منظّمًا لفكّ رموز تاريخنا: أعني الفينيقيّة، واليونانيّة، واللاتينيّة، والسريانيّة، والتركيّة. هل يُعقل أن نكتب تاريخ أرضنا وشعبنا ونجهل اليونانيّة مثلاً التي عمّت ثقافتها، قبل الميلاد وبعده؟ أو التركيّة التي حكمت شعوبنا أربعمئة سنة؟

وإنّي بالتالي أحذّر: إذا اكتفينا من التاريخ بالاستناد إلى ما كتبه غيرنا، وإلى المراجع المترجمة، وما أدراك ما حذف منها وما أشكل على الباحثين، فالتخلّف سيبقى مستشريًا، ولا حول ولا...

وجوابًا عن السؤال ما نفع هذا الكتاب، وما نفع السعي خلف حجارة اندثرت، قال **الأب بيار نجم**: إنّ هذا النوع من الآثار لا يقدّم الكثير في ميدان علم الكتاب المقدّس، لقلّة الاستشهادات البيبليّة (واحدة يجدر التنويه بها، هي ما خطّ على باب القدّيس أوتل- كفرصغاب، هي آية من آشعيا النبيّ (٦٠، ١١) تقدّم نصًا عربيًا يحترم تسلسل الكلمات كما وردت في النصّ العبريّ والسريانيّ، دون محاولات تجميل أدبيّ للّغة العربيّة، ما يشير إلى أنّ الكاتب كان يترجم مباشرة من السريانيّة حرفيًا، وهو أمر يساعد دارسي تاريخ الكتاب المقدّس في التقليد السريانيّ على معرفة أيّة نسخة كانت مستعملة في القرن التاسع عشر)، فهو يوضح الكثير في مجال التاريخ.

ولا تنحصر أهميّة هذا الكتاب بمنفعته من ناحية

الأب بيار نجم

التاريخ الكنسيّ والمدنيّ، بل تطول أيضًا تاريخ اللغة وتطوّرها، تاريخ اللغة العربيّة والسريانيّة وتأثير كلّ منها على الأخرى عبر العصور، وهو تأثير يبدو واضحًا على العديد من هذه الشواهد الحجريّة؛ أشير إلى البعض منها على سبيل الدلالة ولا الحصر، وأترك للدارسين عناء تمحيصها والبحث فيها:

– الاستعمال المزدوج للّغتين السريانيّة واليونانيّة، وهو استعمال يجد أصوله في القرنين الأوّل والثاني بعد المسيح، حين دخل السريان واليونان في تماسّ ثقافيّ مباشر إثر نقل لجماعات كاملة إلى بلاد ما بين النهرين وبلاد فارس، واستمرّ طوال قرون عديدة، وهو ما يظهره الكلندار الليتورجيّ المزدوج اللغات الذي ورد ذكره في هذا العمل، والذي إذا ما دُرس بدقّة يساعد الباحثين في التاريخ على إيجاد أجوبة توضح، ولو قليلاً، هذه الحقبة من تاريخنا السريانيّ الماروني.

– التمازج بين السرطو والإسترانغيلو في النصّ الواحد (كما نجد في آثار مار نوهرا– سمار جبيل)، وهو موضوع دراسة اليوم إنْ من ناحية تطوّر اللغة أو من ناحية علم الخطوط السريانيّة.

– شاهدُ سيّدة إيليج يقدّم الكثير من الموادّ التي تستوجب دراسة معمّقة من الناحية اللغويّة، وأبرزها الكلمة التي يُفترض أنّها (عَموري) بالسريانيّة فهي تعني في الأصل «سكن» وليس «بناء». ففعل (عَمَرَ) السريانيّ والذي يعني في الأصل «قطن، عاش وسكن» قد أنجب فعل «عمّر» اللبنانيّ، وكلمة «عمار» المشتقّة منه، وبالتالي نشهد هنا على تحوّل في معنى الكلمة نفسه، من حيث استعمال كلمة «سكن» للكلام على فعل «بناء».

هل يمكننا التكلّم على تأثير للّغة اللبنانيّة على السريانيّة في وقت مبكر كسنة ١٢٧٦، أم إنّ الأمر يتعلّق بتطوّر لغويّ في حضن اللغة السريانيّة نفسها؟ هذا أمر يحتاج إلى دراسة لغويّة، والكتاب قد يشكّل منذ اليوم مثلاً إضافيًا على مسيرة نموّ أو تقهقر للّغة كانت قد بدأت تشهد منافسة اللغة العربيّة لها.

ومن ناحية أخرى، تقدّم مجموعة الشواهد الحجريّة هذه أدلّة قيّمة ومؤرّخة على تطوّر الروحانيّة السريانيّة المارونيّة والعوامل الخارجيّة التي أثّرت فيها من خلال عمليّة مثاقفة روحيّة ولاهوتيّة أغنتها، وإن غيّرت في طابعها بعض الشيء:

– فالتلاقي الحضاريّ مع اليونان يظهر، وإن قليلاً، من خلال الكلندار الليتوجيّ الذي تكلّمنا عليه سابقًا، وتأثير لاتينيّ لاحق بدأ بالتجلّي رويدًا رويدًا عبر العصور. ويحتوي الكتاب على أمثلة كثيرة، أبرزها مثلاً عبارة: «من كان للعذراء عبدًا فلا يدركه الهلاك أبدًا»، في سيّدة الحقلة قرنة الحمراء، وسيّدة طاميش، ومار مارون– مزرعة يشوع وفي كفيفان وسيّدة مشموشة.

– ويقدّم دير سيّدة مشموشة مثلاً أكثر تطوّرًا من ناحية التأثير، لا التقويّ فحسب، إنّما من ناحية اللاهوت اللاتينيّ أيضًا، فنجد مثلاً عبارة Signaculucm VI إلى جانب صورة قلب يسوع. إنّ هذه العبارة كانت تشكّل نقطة بالغة الأهميّة في اللاهوت الروحيّ اللاتينيّ، فهي مأخوذة من عظة للقدّيس برنردوس خول الأختام السبعة التي فسّر الحمل رموزها بموته، فيقول برنردوس في مقاله الشهير:

Sermo de septem signaculis quae solvit agnus:
«sextus est signaculum crucis ubi pependit inter latrones et cum iniquis deputatus est diminus majestatis».

وقد ربط من خَطّ شاهد مشموشة، هذا الختم السادس، أي الصليب، بختم الحبيب على قلب الحبيبة في نشيد الأناشيد: «إجعلني كخاتم على قلبك»

«pone me ut signiaculum super cor tuum»

(نش ٨، ٦). وبهذا ربط سرّ الصليب والحمل المذبوح بسرّ قلب يسوع الأقدس في مشموشة.

– تأثير الثقافة الإسلاميّة يبدو أيضًا جليًّا من خلال دخول المفردات ذات الطابع الإسلاميّ إلى النصوص الحجريّة السريانيّة؛ ففي حقبة التأثير الإسلاميّ، بتنا نجد عبارات مثل صيغة التوحيد بعد ذكر الثالوث «الإله الواحد آمين» كما في شاهد الدبّية العائد إلى سنة ١٧٥٣، وهو ما لا نراه في النصوص القديمة. فهذه الصيغة تهدف إلى الإعلان، بطريقة لا مباشرة، أنّ المسيحيّين يدينون بحقيقة التوحيد رغم ثالوثيّة الأقانيم. وعبارة «إن شاء الله تعالى» في جدرانيّة سيّدة الحقلة، هي أيضًا كلمة دخيلة على لاهوتنا المسيحيّ.

عفوًا.. هذا أنا

"سهيل مطر"

«فَطِنٌ، ذو جُدّة، رشيقُ كلام، رقيقُ أسلوب، ناعمُ سلوك، ليّنُ عريكة.. حتّى إذا مَسّه خَطْبٌ في الكرامة أو الوطنيّة، انتفضت شكيمتُه، فيتدرّعُ بَجوشَنِ العنفوان، يَردُّ الضّيمَ وقاعدتُه: الغَلَبةُ للمحبّة».

بهذا، وهو نسَمةٌ من حديقة ورد، قدّمت **السيّدة ريما نجم بجّاني** للّقاء حول كتاب سهيل مطر: **عفوًا.. هذا أنا**، في منشورات جامعة سيّدة اللويزة. وفي اللقاء كانت كلماتٌ لرئيس الجامعة وغسّان مطر وغادة كوستانيان وعصام الخوري وزياد بارود، على التوالي.

الأب وليد موسى قال: وأنت تقرأ، تظنّ أنّك تستعرض حياة إنسان تعرفه، ولكنّك ترى أنّك عرفت شيئًا وغابت عنك أشياء.

لذّة في القراءة. لا يمكنك التوقّف. تريد أن تعرف أكثر فأكثر عن هذا الرجل، وأن تكتشف أسراره و«خفاياه»... ولكنّك بهذه الحشريّة تجد نفسك أمام سرّه.

وأنت تقرأ وتتنقّل بين مراحل حياته الشخصيّة والمهنيّة والاجتماعيّة، تلج إلى تاريخ لبنان الحديث وجغرافيّته وميزاته. تستذكر أسماءً ووجوهًا وأعلامًا وأحداثًا، تصلّي وتتأمّل...

سهيل مطر لا يتحدّث عن نفسه فحسب، بل يتحدّث عن جيل بكامله. ولهذا أراني أتساءل: ماذا أضيف إلى ما كتبه هذا الرجل، وأنا الكاهن، أجلس في كرسيّ اعتراف، أستمع إليه؟ أقول إنّه اعتراف موجع ولذيذ. وأمامكم، لا يسعني إلاّ أن أحلّه من كلّ خطاياه المعلنة وغير المعلنة! وخمسة أبانا وخمسة سلام.

... قرأته وقرأته، ولم أرد أن ينتهي... ولن ينتهي!

وقال **الأستاذ غسّان مطر:** في «عفوًا.. هذا أنا» يخطئ من يبحث عن سيرة ذاتيّة، نحن أمام قصيدة حبّ لا يخدش رونقها سوى أنّها تنتهي ونحن في أوج الفرح والنشوة.

لم يكتب سهيل عن نفسه، بل كتب عنّا جميعًا، نحن فقراء الريف، الذين امتزج كلّ حرف تعلّمناه بألف غصّة وجرح ولم نخسر براءة الريف وقيم العائلة القرويّة الراسخة.

ولأنّها تتّورين، جبالاً وشجرًا وماءً وبساطةً وتمرّدًا، فلقد سعى سهيل إلى صورة شاملة لم يغب عنها وجه ولا تفصيل. إنّها صورة الحبيبة المنحوتة من حجر الحبّ.

أمّا الوجوه والتفاصيل، فحكاية انتماء إلى جيل من عشّاق الحداثة والأفكار الكبيرة- هكذا يرفض

سهيل الصورة الفرديّة ليرسم الصورة الجماعيّة بالأسماء والملامح، وهنا الشاهد الأرقى على الحبّ والتجرّد ونبل الغاية.

ويستمرّ أبو زياد في استكمال اللوحة، لنكتشف أنّ الكوكبة التي رافقها ورافقته، من تنّورين ومن خارجها، قد تركت بصمتها على الثلاثين سنة الخيرة من عمر لبنان ثقافةً وتربيةً وقيادةً وإدارةً ومواقف.

هكذا يكون سهيل قد أرّخ لصفحات لبنانيّة غنيّة بعطاءات أبناء الطبقتين الوسطى والفقيرة من جيلنا المكافح بالعرق والأظافر والعقل والإرادة والتحدّي الجميل.

السيّدة غادة كوستانيان استذكرت زمنًا كانت فيه تلميذةً للأستاذ الذي يمتطي غيمةً، يترجّلُ منها على باب المدرسة، يقتحمُ أسوارَها بألوان قوس القزح، ويُجلسُ على مقاعدها كلّ يوم شاعرًا وقصيدة، فإذا الحياةُ أجملُ وأرحبُ وأقربُ إلى ترابِ الوطن وقلبِ الله... وانتهت إلى القول: من يومها ومع كلّ كتاب جديد، يعود الأستاذ إلى قواعده معلّمًا، وأعود أنا إلى مقعدي أتعلّم؛ ومع كلّ درس جديد أقول: ها هو يترجّل من الغيمة ويغطّ بين صفحات الكتاب، فتلك الكلمات ليست من هذه الدنيا، وظلمٌ احتسابُ قراءتها ضمن ساعات هذا العمر...

نقيب المحامين والوزير سابقًا عصام الخوري، وبعد شهادة حقّ في مستحقّ يوم كان الأستاذ سهيل مستشارًا في وزارة التربية، يَبلغ إلى القول: قرأت الكتاب، فقلت هذا حنينٌ سالَ من روح سهيل على قلمه. إنّ ما ينضح منه ينضَحّ مباشرةً في العروق. فأقصر طرقه من مسمعٍ إلى خافق. تكاد الآذان معه أن تكون قلوبًا.

سهيل كما عرفته، يطيب له في أدبه وكتاباته وشعره، أن يَهب بعضًا منه، فإذا هو موهوبٌ كلّه... كلماته تتّسم، أبدًا، بالوسامة والملاحة. تقرأها سرعان ما تكتشف أنّه يقيم على حروفها. كلُّ حرفٍ زلّ عن مرشفه، نثر الطيبَ، يمينًا وشمالاً.

ما يحمل لنا هذا الكتاب من كنوز الماضي هي قطعٌ وقعت من قلب صاحبها، بعضها يعكس أيّام جدّه وعنائه، بؤسه ووجعه، ويرسم عنه صورة المتألّم الضاحك، الهادئ المتعالي على سواد اللحظات.

حقبات عمره لم تكن كلّها مساحات خضراء وحقول جمال زانها الورديّ والخمريّ؛ كم قست عليه الأيّام وناله من قهر الزمان. عثر ولم تعثر إباءته. ترفّع عن رخيص العمر... لم يقع ضحيّة مال الناس.

لم يتخمه خبز الأرض، ولم يطلب منه لنفسه وعياله سوى كفاف يومه. وآثر حياةً في قلبه نقيّة لا غشّ فيها ولا حقد، يستنبط الوسائل لترجيح كفّة الغفران، ولسان حاله مع «بولس»: إغلبوا الشرّ بالخير. أمّا بعضها الآخر فيعكس أيّام لهوه وزهوه، نجاحاته وانتصاراته، حبه وسعادته.

عزيزي سهيل، لقد حقّقت، إلى حدّ، في كتابك كما في حياتك، أكاد أقول، الصنعَ البدع. يلقى به كلّ ذي هوى مهواه ، أدبًا وسياسةً وتاريخًا وسلوةَ عمر وأسلوبًا تعبيريًا يتآلف ومختلف الأهواء. فهو، بكلمة، الكتاب الهديّة الفكريّة المؤنسة يستاف منه القارئ في الونى، ما يريح إسترخاءً عصبيًا يحلو عنده المنام وتطيب الأحلام.

والوزير زياد بارود هو الآخرُ تلميذٌ آخرُ، ويا فخرَ المعلّم!

قال الوزير للأستاذ: أنا واحدٌ ممّن تتلمذوا عليك. وما أنا عليه هو من فضل لك عليّ.

وتابع: أنا واحد ممّن يصغون في همس كتاباتك والمنابر، إلى إنسانيّتك، إلى إبداعك، إلى رقيّك، إلى مودّتك، ولا ينتهي الكتاب...

وأنا واحدٌ ممّن أتوك اليوم أصدقاء، يحملون في جعبتهم شيئًا من محبّتك، مرآةً من ابتسامتك، خفرًا من حسّك المرهف، ليقولوا لك شكرًا، وأنت تقول عفوًا...

شكرًا، سهيل، لأنّك حقيقيّ ولأنّك ما أنت...

شكرًا، أستاذ سهيل، لأنّك كنت ولا تزال تزرع في حقول العلم شيئًا منك، وما زلنا نغرف...

شكرًا، الصديق سهيل، لأنّك حاضرٌ حيثما حلّ أصدقاؤك في أزمة أو ضيق...

شكرًا، سهيل النبيل، لأنّك تحفظ لمن رحلوا موقعًا ولو غابوا...

شكرًا، سهيل الزوج والأب والقريب، لأنّك تجعل رفيقَتَك وبَنيك والأقرباءَ يفخرون بانتمائهم إلى حلقة القربى الوثيقة... أمّا تنّورين فعالية الجبين، عالية...

شكرًا لأنّك ارتكبت كتابًا، مرّةً أخرى، وعنوانه اعتذار. ليت كلّ المعاصي على صورتك، وليتها كلّها على شكل أفعالك، بل كتاباتك والكلمات...

وفي شكره، حرص **سهيل مطر** على التوضيح، من غير وجه حقّ ولو لمرّة، بقوله: من تصدّقون؟ الأنا التي تحدّث عنها هؤلاء الأحبّاء، طيّبات وطيّبين، أم الأنا التي رسمتُ صورتَها في الكتاب؟

الأنا، أناي، على أقلامهم، وفي أصواتهم، هي الأنا التي تراءت لهم، من خلال قلوبهم والمشاعر، وكثيرًا ما يخطئ القلب، وتلتبس المشاعر.

أمّا أناي، بصوتي وبقلمي، فهي الأنا الحقيقيّة، العارية، الصادقة. هي «أنا» الكثيرين من أهل ضيعتي. إنّها «أناي» بأخطائي وخطاياي، «أناي» المبلّلة بندى الحنان والحنين؛

«أنا» الفقر والشقاء وشمخة الرأس،

«أنا» الطموح القهّار والمغامرات النقيّة والعناد في التحدّي،

«أنا» العاشق المراهق، وأخشى على هذا الجدّ من أن يبقى عاشقًا ومراهقًا،

«أنا» الرفض والغضب الصامت والمتسكّع الليليّ في أزقّة الأحلام الضائعة،

«أنا» المؤمن، على بعض عتاب مع يسوع، وحوار لا ينتهي،

«أنا» الحزن النائم في الشرايين والحنايا،

«أنا» المعلّم الذي لا تزال وجوه طلاّبه– وطالباته– تحيا في ذاكرته وبين الأهداب،

«أنا» هذه الجامعة حيث يصحّ القول: بعض شبابي مرسوم على حجارتها.

و«أنا» الابن والأخ والزوج والأب والجدّ.

أُسكني لبنان

المحامي ريمون عازار

ولد الكونُ جديدا
عندما قالت نَعمْ
هزج الأردنُ
ماجت راسياتُ الأرز
صارتْ غربةُ الانسانِ
أوطانًا رغيدَهْ
وتلاقتْ في عناقٍ،
في ذُرى الشرقِ
سماءٌ وقممْ.

ذُهلَ الدهرُ
وراحت تسألُ السرّ الأُمَمْ
كيف يغدو الله، يا عذراءُ، من لحمٍ ودمْ؟
فاستَوتْ كلُّ النبوءات تتلو الوحيَ
من سِفْرِ القدَمْ
وتراءى آدمُ المنسيُّ يطفو
فوقَ أغوارِ الظُلَمْ
لبست حوّاءُ ثوبَ النورِ
صارت آيةَ الآياتِ في التاريخ...
من يجلو ويفهمْ؟
إنّه الله
ومن غيرُهُ اللهُ يزيلُ المستحيلاتِ
ويُحيي من عَدَمْ؟
من «جليل» جئت يا عذراءَ قانا
من شذا الأطيابِ في أقصى الجَنوبْ
قادك العرسُ إلينا
تعلنين الآتي بإسم الربّ هديًا للشعوبْ
تسألين الأبنَ، يُعطَ الأبنُ خيرًا وسلاما
فاسكبي من خمرةِ الروحِ المُداما
وامزجيها بخمورِ الأرضِ
كيما نعبرَ الأعراسَ بين اللهِ والأرضِ انسجاما
أمطرينا بالنَعَمْ...
فبكِ الخَلْقُ اعتصمْ.

للسماء ارتفعتْ صلواتُ الشكرِ، في «لوردَ» الشّفاءْ
فرفعنا لكِ في لبنانَ رمزًا
مثلما في «لوردَ»، حبًا ووفاءْ
أينما قد كنت يا عذراءُ
أنت الأمُ، أبوابُ السماءْ.
إنّما لبنانُ أبهى
فاسكنيه وزّعي منه العطايا والرجاءْ
شهبُهُ لا يستسيغُ العيشَ إلاّ
أن يكونَ الحبُ مريمْ.

أرسلي الروحَ إلينا
وَلْيحلّ الحبُ فينا
قد تفرّقنا، فيا أمُ اجمعينا
ليظلّ الشرقُ «بالبشرى» بهيًا
إنّ لبنانَ مخاضْ
خلّصيه
فسَواءً إنتحيت المذودَ المهجورَ
أو كانَ مكانًا في ظلالِ النخلِ مغمورًا قصيًا
أنجبينا منْ جديد
ألبسي التاريخَ وجهًا بشريًا
فنُغَنّي اليومَ، ما قد قلت في الأمس، نشيدًا نبويًا
صَنعَ الرحمانُ في الشعبِ العظائمْ
وبه عزّ وجودًا والتحمْ.

يولدُ الكونُ جديدا
كلّما قد قلتِ يا أمُ نَعمْ.

خاصّ

رسالة غير منشورة لأمين الريحاني

بعد صدور الطبعة الثانية لرسائل أمين الريحاني العربيّة تلقّى متحف الريحاني عددًا من الرسائل، تلقّاها الأدباء والأصدقاء من صاحب «قلب لبنان»، تعود إلى فترات مختلفة من مطلع القرن العشرين، وستُضَمُّ إلى الطبعات الجديدة للرسائل الريحانيّة. وقد خُصّت مجلّة سبيريت بواحدة من هذه الرسائل غير المنشورة وغير المؤرّخة، إلى جانب صورة عن الأصل بخطّ الريحاني. والرسالة الساخرة هذه تعود إلى العام ١٩٠٨ ترجيحًا. وهذا نصّها:

أبرشيّة وادي الفريكة (١) وتوابعها

حضرة الأخوين الفاضلين جرجي باز (٢) وقسطنطين ينّي (٣) حفظهما اللّه،

بعد إهدائكما البركة والدعاء بطول بقائكما، ثمّ بما أن قد تقرّر رسم الشماس إلياس أبي شديد قسّيسًا نهار الأحد الواقع في 13 الجاري، وبما أنّكما من المقرّبين المكرّمين لدى سيادته، اقتضى إفادتكما لكي تحضرا الحفلة في اليوم المعيّن.

ونفيدكما أيضًا بأنّ سيادته أمر أن تكون قصائد التهنئة من وزن وروِيّ واحد، ولا يؤذَن بتلاوة شيء من غير القافية السّنيّة تعزيزًا لذكر القسّيس وحبًّا باستماع ما يحاكيه من الألفاظ النديّة الجميلة. فاملأا من القاموس اليافوخ (٤)، وإن ضربتم فعلى «النافوخ» (٥). وفي الختام أكرّر (؟) إهدائي البركة والسلام،

الداعي كاتب سرّ
مطران أبرشيّة
وادي الفريكة
وتوابعها

إذا تمّ حضوركم غدًا مساءً
فتعالوا صباح الأحد لتكونوا عندنا قبل
الظهر أو قربه، ولا تتخلّفوا

أمين

(١) راجع مقالة الريحاني «أبرشيّة الفريكة» في كتابه الريحانيّات، دار الجيل، ١٩٨٧، ج ١، ص ١٦٥–١٦٨. كذلك راجع مقالته «وادي الفريكة»، الريحانيّات، دار الجيل، ١٩٨٧، ج ١، ص ٥٠–٦٠.

(٢) باز، جرجي (١٨٨١–١٩٥٩) كاتب لبنانيّ من بيروت. أنشأ مجلّة الحسناء. من مؤلّفاته: ماري ينّي، ماري عجمي، نازك العابد، وشبّان العصر والصحّة. عُرف بكونه نصير المرأة.

(٣) ينّي، قسطنطين كاتب وصحفيّ لبنانيّ. عُيّنَ وزيرًا لدى الشريف حسين، ملك الحجاز. رافق الريحاني إلى الحجاز واليمن في رحلته العربيّة عام ١٩٢٢.

(٤) اليافوخ هو الموضع الذي يتحرّك من رأس الإنسان. وهو فراغ بين عظام الجمجمة في مقدّمتها وأعلاها.

(٥) هو من تحريف العامّة، والأصل اليافوخ.

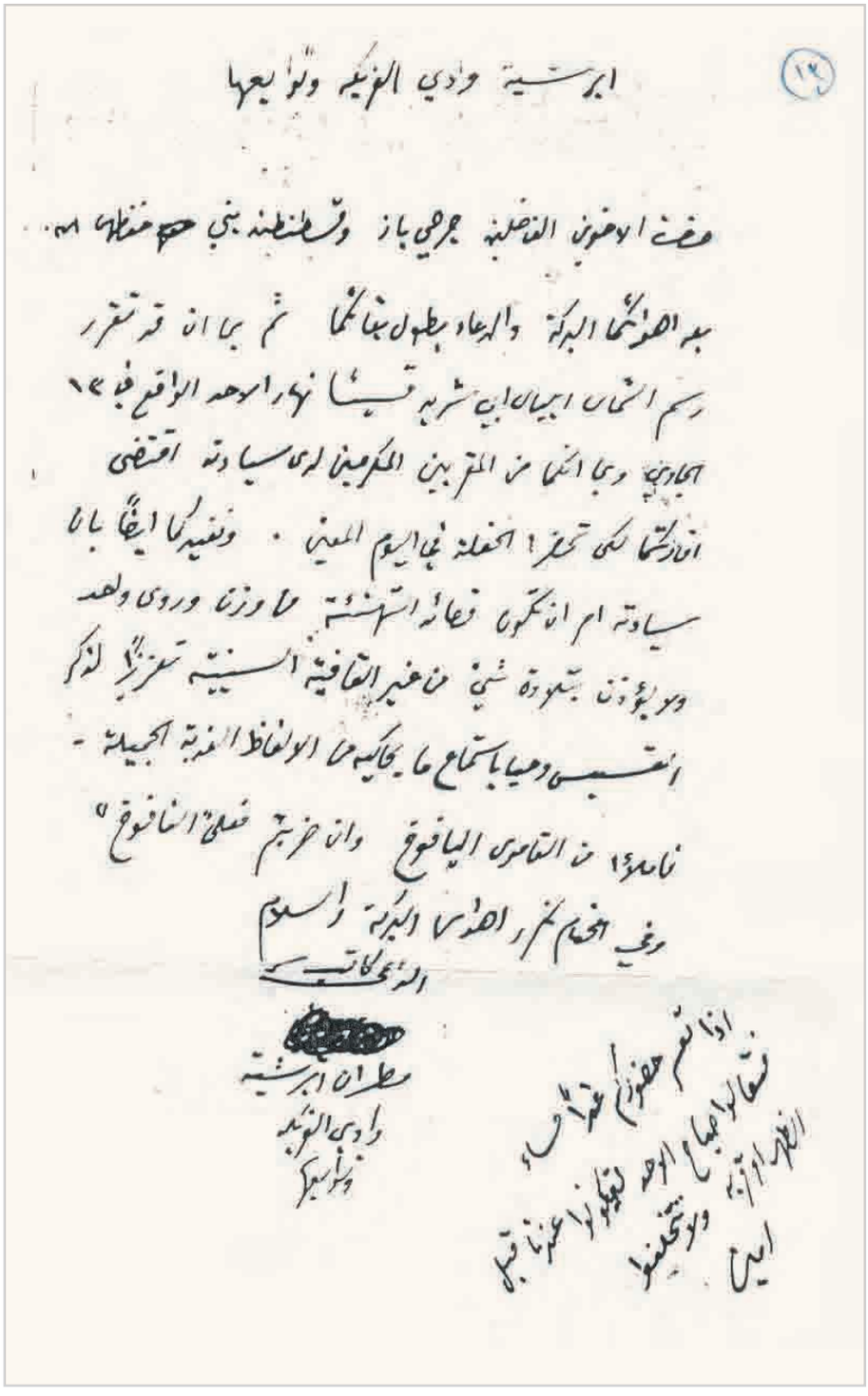

ابرشية وادي النوبة وتوابعها

(١٩)

حضرة الاخوين الفاضلين جرجي باز وقسطنطين بني حفظهما الله.

بعد اهدائكما البركة والدعاء بطول بقائكما ثم بما ان قد تقرر رسم الشماس ابيمالك ابن شرية قسيسا نهر ابوحمد الواقع في ١٧ الجاري وبما انكما من المقربين الكرمين لدى سيادته اقتضى انذاركما لكي تحضرا الحفلة في اليوم المعين. وتفيدا ايضًا بانا سيادته ام ان تكون فعالة استهنته ما وزنا وروى ولعله ويعوذ بتعويذة شيخ من غير القافية السينية تعزيزًا لذكر القسيس وحيا باستماع ما يحاكيه من الالفاظ العذبة الجميلة - نامل منكما من القاهرة اليافوخ وان خرجتم فعلى الشافوخ"

ترجو انتظام نشر اخبار البركة والسلام

المحكاتب

مطران ابرشية
وادي النوبة
وتوابعها

اذا تمم حضوركما عجّلا
فتعالوا جميعا الواحد فالواحد
لنظهر اوانيه ونتحفنوا
امين

ndu spirit

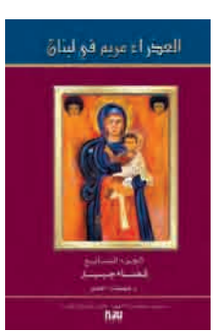

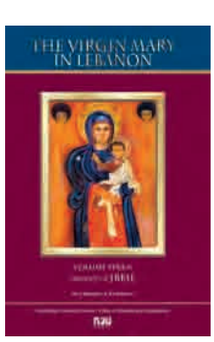

Christian Education Series